

﴿ ألّف أصلها ﴾

« الامام مُحيي السُّنّة ، ومُجدّد شبابها في جزيرة العرب »

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

« وتوسّع فيها على هذا الوضع »

« علّامة العراق »

السيد محمود شكري الالوسي

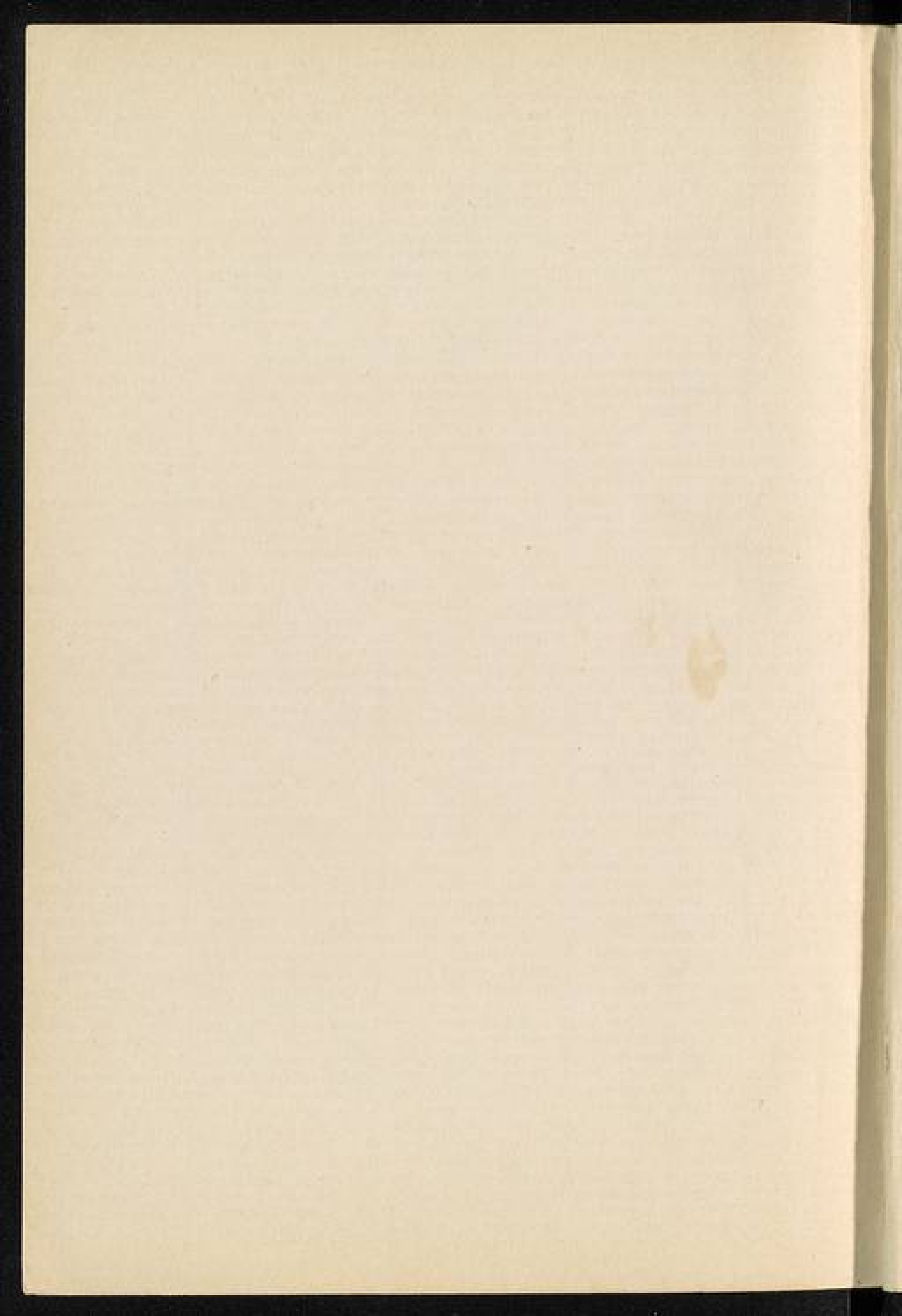
القاهرة — ١٣٤٨

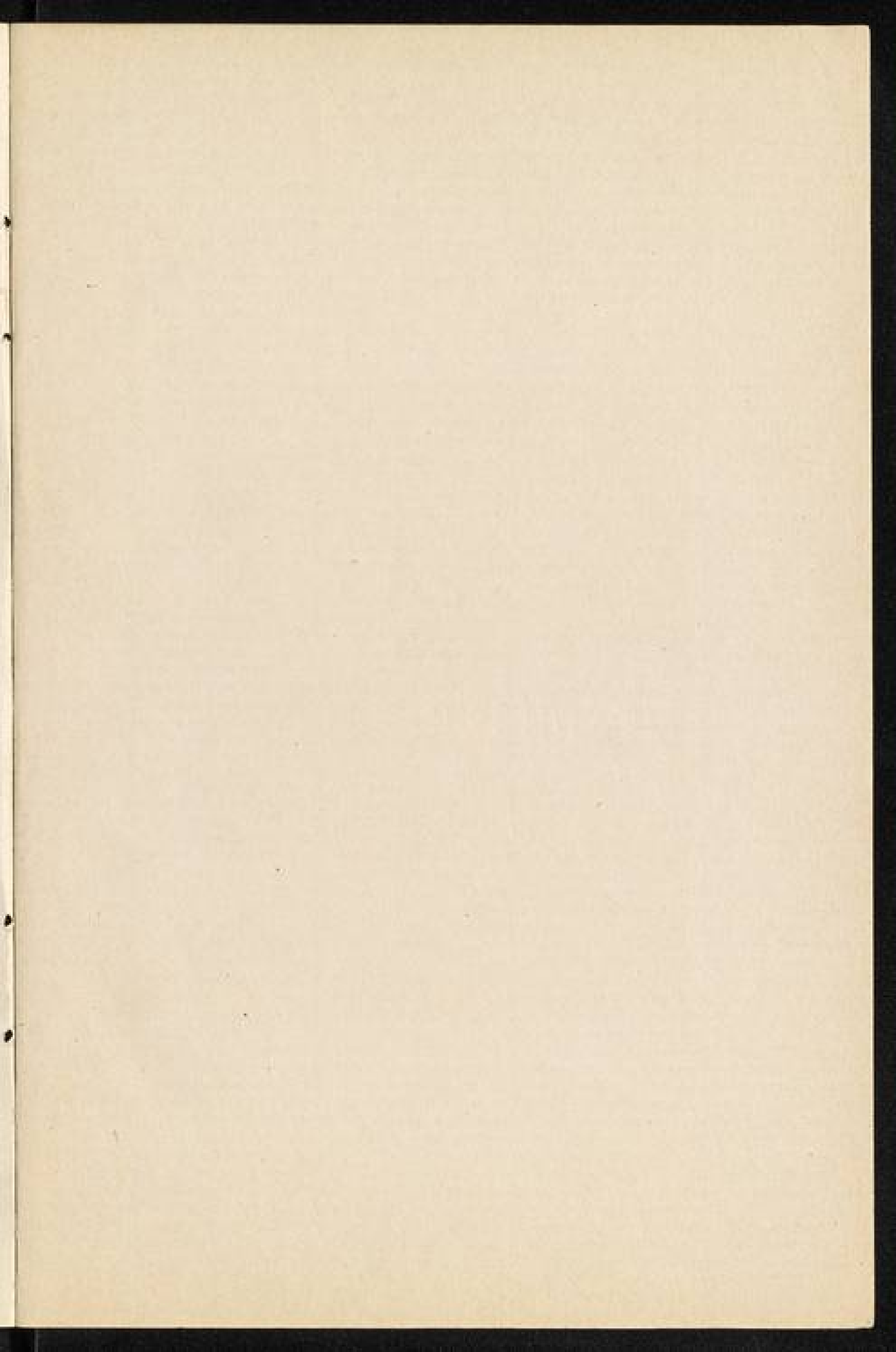
عُنيت بنشره

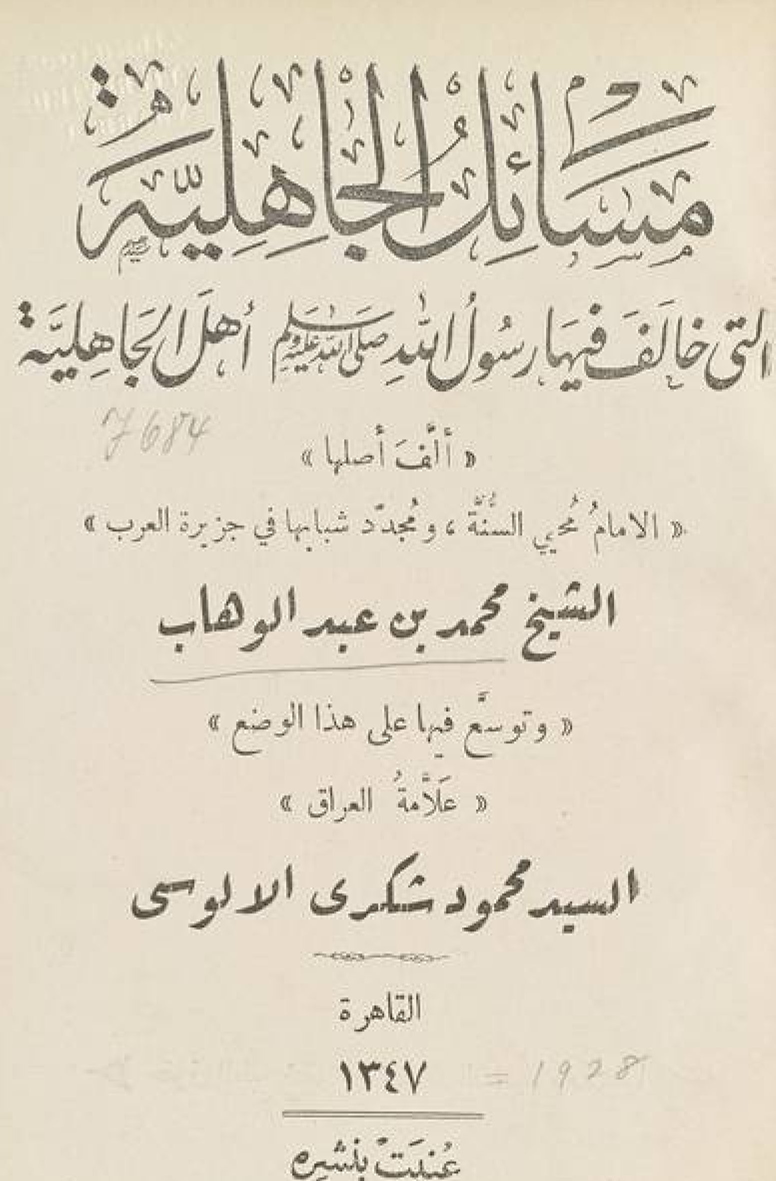
المطبعة السلفية ومكتبتها

صاحباها : محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان


SIGILLVM · COLLEGII · COLVMBIAE · NOVI · EBORACI
IN LUMINE TUO VIDEBIMUS LUMEN







مسائل الجاهلية

التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية

« ألف أصلها »

« الامام مُحيي السنّة ، ومُجدّد شبابها في جزيرة العرب »

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

« وتوسّع فيها على هذا الوضع »

« علّامةُ العراق »

السيد محمود شكري الالوسي

القاهرة

١٣٤٧ = 1928

عُنيت بنشره

المطبعة السلفية - ومكتبتها

لصاحبيها : محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

الى ذى النورين

سِبْطِ صاحب الدّعوة الى التّوحيد محمد بن عبد الوهاب

وحفيدِ مؤيّديها وناشريها آل سعود الكرام

« صاحب السُّمُوّ الملكي الأمير فيصل »

ابن صاحب الجلالة ملك العرب ، وباسط جَناحَيّ الأمن والعدل

في الحرمين الشريفين

« الامام عبد العزيز آل سعود »

أُهدي هذا الكتاب

محب الدين الخطيب

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد رافع لواء الهدى في العالمين

وبعدُ فان الخلفاء الراشدين ورجالَ الدولة في زمن بني أمية كانوا يمهدون بلواء الاسلام الى السواعد العربية تخوض به الآفاق شرقاً وغرباً ، والى الالسنة العربية تدعو اليه بادية وحاضرة ؛ فكانت الدولةُ على اتصال بجزيرة العرب تُغذّي الجيشَ من فتيانها ، وتُعنى بأحوال أهلهم في ربوعهم وبين جبالهم ، وتوسّد الامور في الاقطار الى النوابغ من عُقلائهم وحكمائهم ؛ فكان الاسلامُ غضاً في جزيرة العرب ، وهدايته معمولاً بها تحت الخيمة وفي بيت الشَّعَر وبين جُذوع النخيل . فما برح الاسلامُ بذلك منصوراً ، وممالكه بازدياد ، والناسُ يدخلون في دين الله شعوباً وأُمَماً ؛ إلى أن استدار الزمانُ مرَّة أخرى فجرَّب الخلفاء من بني العباس الاعتمادَ على أهل السياسة والحميَّة الدنيوية من الفُرْس في إقامة دعائم مُلكهم . ولم يكن أهلُ السياسة والدنيا منهم كما

كان أهلُ التقوى والدين ، فأبدَتِ المجوسيةُ نواجِذَها . ورغم الفتك بأبي مسلم فان الحال ظلّت على ذلك الى زمن أمير المؤمنين المعتصم ، فأخذ دفّة السفينة من أيدي الفُرْسُ وأسلمها الى أيدي غلمانه من الترك ، فنهض من شرّ واحد ووقع في شرّين : لان للفرس سابقةً وحضارة ليس لهؤلاء مثلها . وفي هذه الحادثة يقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده :

« خليفة عباسي أراد ان يصنع لنفسه ولخلفه ، وبئس ما صنع بامته ودينه . اكثر من ذلك الجند الاجنبي ، واقام عليه الرؤساء منه . فلم تكن الا عشية او ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء ، واستبدوا بالسلطان دونهم ، وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام ، والقلب الذي هذبه الدين ، بل جاءوا الى الاسلام بخشونة الجهل ، يحملون الوية الظلم ، لبسوا الاسلام على ابدانهم ، ولم ينفذ شيء منه الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل إلهه معه يعبده في خلوته ويصلي مع الجماعات لتمكين سلطته ... »

منذ تلك الازمان وجزيرةُ العرب مُهملة : لا تُعينها الدولة ولا تَستعين بها . وكانت نتيجة ذلك أن « الجاهلية » عادت الى جزيرة العرب واستقرّت فيها قروناً طويلة

ثم ظهر في صميم جزيرة العرب رجلٌ عظيم لا يزال حقُّه على المسلمين مهضوماً فيهم ، وأعني به الرجل المصلح ، داعيَ العرب والمسلمين للرجوع الى فطرة الاسلام الاولى ، شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب مؤلف أصل هذا الكتاب . هذا الرجل

نظر فيما عليه سكان جزيرة العرب في زمنه فرآهم فى حالة سوء : العصبية الجاهلية كالتي نهى عنها هادي البشر محمد ﷺ ، ودُعاء غير الله كالذي جاء ﷺ لاستئصال جرثومته ، والاحتيال بمختلف الاسباب للابتعاد عن الحقّ والهدى كالذى كان قبل مبعثه ﷺ . ثم التقاطع ، التفرّق ، التواصي بالباطل دون الحقّ ، الاعتداء على حق الغير ، العطالة ، الكسل ، الخرافات والأوهام ، الضغينة ، الفوضى ، القذارة ، المكر ، الخداع ، عدم الانقياد للنظام بحيث كان كل رجل أمة وحده . هذه أمراضٌ رآها مؤلف أصل هذا الكتاب موجودةً فى قومه وفى بلاده ، ورأى السنة المحمدية تدور حول تطهير الانسانية من هذه الشوائب ، فقال فى نفسه :

— إذن نحن فى مثل ما كانت عليه أهل الجاهلية !

حينئذ عاهد ربه على أن يعلن الحرب على هذه الأمراض وأن يداويها بالطب النبويّ من كتاب الله وسنة رسوله

قلتُ انه كان رجلا عظيما ، لانه ثبت فى جهاده الى أن لقي ربه ؛ فحوّل الله تلك الأوطان العربية على يده وبطريقته من أخلاق الجاهلية وأطوارها الى امةٍ تقيم الصلاة ساعة الدعوة اليها ، وتؤتى الزكاة عند استحقاقها ، ولا يشهد رمضانُ فيها ما يُشاهده فى مصر والشام والعراق من فضائح ، ويحجّون بقلوب لا متّسع

﴿ دعاء الصالحين ﴾

﴿ المسألة الاولى ﴾ : انهم يتعبدون باشراك الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته ويرون ذلك من تعظيم الصالحين الذي يحبه الله ويريدون بذلك شفاعتهم عند الله لظنهم أنهم يحبون ذلك كما قال تعالى في أوائل الزمر « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زُلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون » وقال تعالى « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بالاخلاص وأخبرهم أنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وهذه المسألة هي الدين كله ولأجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولاجلها شرع الجهاد كما قال تعالى في البقرة « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله »

﴿ التفرّق ﴾

﴿ الثانية ﴾ : انهم متفرقون ويرون السمع والطاعة مهانة ورذالة فأمرهم الله بالاجتماع ونهاهم عن التفرقة فقال عز ذكره

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقـاته ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرَّقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » يقال أراد سبحانه بما ذكر ما كان بين الاوس والخزرج من الحروب التى تطاولت مائة وعشرين سنة الى أن الف سبحانه بينهم بالاسلام فزالت الاحقاد قاله ابن اسحاق وكان يوم بعاث آخر الحروب التى جرت بينهم وقد فصل ذلك في الكامل . ومن الناس من يقول أراد ما كان بين مشركى العرب من التنازع الطويل والقتال العريض ومنه حرب البسوس كما نقل عن الحسن رضي الله عنه وقال تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا » الى غير ذلك من الآيات الكريمة الناصة على النهي عن الاستبداد والتفرق وعدم الانقياد والطاعة مما كان عليه أهل الجاهلية

﴿ مخالفة ولي الامر ﴾

﴿الثالثة﴾ : ان مخالفة ولي الامر وعدم الانقياد له عندهم فضيلة وبعضهم يجعله دينا . فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأمرهم بالصبر

على جور الولاة والسمع والطاعة والنصيحة لهم وغلظ في ذلك وأبدى وأعاد . وهذه الثلاث هى التى ورد فيها ما في الصحيح عنه ﷺ « يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جيعاً ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « من كره من أميره شيئاً فليصبر فانه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » وروى أيضاً عن جنادة بن أبي امية قال : دخلنا على عُبادة بن الصامت وهو مريض ، فقلنا : أصلحك الله حدّث بحديث ينفعك الله به سمعتَه من النبي ﷺ . قال : دعانا النبي ﷺ فبايعنا فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في مَنشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله الا ان تركوا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان . والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة ولم يقع خلل في دين الناس أو دنياهم الا من الاخلال بهذه الوصية

﴿ التقليد ﴾

﴿ الرابعة ﴾ : أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبري لجميع الكفار من الأولين والآخرين كما قال

تعالى في الزخرف « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ، قال أوَلو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون » فأمرهم الله تعالى بقوله في سورة الاعراف « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون » وقال تعالى « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أوَ لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون » الى غير ذلك مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا في ربقة التقليد لايحكمون لهم رأياً ولا يشغلون فكراً فلذلك تاهوا في أودية الجهالة وهكذا كل من سلك مسلكهم في أي عصر كان

﴿ الاقتداء بالعالم الفاسق أو العابد الجاهل ﴾

﴿ الخامسة ﴾ : الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم فحذرهم الله تعالى من ذلك بقوله « يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » وقال تعالى « قل يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل » الى آيات أخر تنادي ببطلان الاقتداء بالفساق وأهل الضلالة والغي وذلك من سنن أهل الجاهلية وطرائقهم

المعوجة

﴿ الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل ﴾

﴿ السادسة ﴾ : الاحتجاج بما كان عليه أهل القرون السالفة من غير تحكيم العقل والأخذ بالدليل الصحيح وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله في طه « قال فمن ربكما ياموسى ، قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لايضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبيلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم » الخ وقال تعالى في القصص « فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين . وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لايفلح الظالمون » وقال عز ذكره في سورة المؤمنين « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين » وقال تعالى في ص « وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا

لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق »

فجعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل انه لم يكن عليه أسلافهم ولا عرفوه منهم . فانظر الى سوء مداركهم وجمود قرائحهم ولو كانت لهم أعين يبصرون بها أو آذان يسمعون بها لعرفوا الحق بدليله وانقادوا لليقين من غير تعليله وهكذا أخلافهم وورّاثهم قد تشابهت قلوبهم

﴿ الاحتجاج على الحق بقلة أهله ﴾

﴿ السابعة ﴾ : الاعتماد على الكثرة والاحتجاج بالسواد الاعظم والاحتجاج على بطلان الشيء بقلة أهله فأنزل الله تعالى ضد ذلك وما يبطله . فقال في الانعام « وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » فالكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان له بصيرة وقلب فالحق أحق بالاتباع وان قل أنصاره كما قال تعالى « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم » فأخبر الله عن أهل الحق انهم قليلون غير ان القلة لا تضرهم

فيها لغير الايمان بالله ، وكل رجل منهم عنده كَفَنُه يحمله مع سلاحه إذا ناداه الامام للجهاد

ان تحويل هذه الامة مما كانت عليه الى ما صارت اليه ليس من الامور الهيّنة ، وأنا كلّما تصورتُ في ذهني عَظَمة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يتضاءل فى نظرى كثير من الشخصيّات التى انا مُعْجَبٌ بها ، فأنظر اليه بعين الاكبار والاجلال

نعم ، ان فى نجدٍ جموداً وشدّة ، لكنها ناشئتان عن عُزلة النجديين فى بلاد مُنزوية عن ممرّ الامم ، وأنا على يقين بأن اتّصالَ نجد بالحجاز ، واتصال النجديين والحجازيين بحجّاج الاقطار ، وازدياد عدد الحجيج باستتباب الامن ورسوخه ، سيكون فيه خير عظيم للحجاز ونجد والعالم الاسلاميّ جميعا

●●●●●

وبعدُ فان هذه الرسالة احدى نظرات محمد بن عبد الوهاب الى المرض العامّ الذي كان سكان الجزيرة العربية مصابين بأعراضه . والظاهر أنه جعلها رءوس أقلام ليتوسّع فيها يوماً مّا ، فلم يتيسّر ذلك له . وقد طُبعت فى الهند على اختصارها الذي جعلها بمقام فهرس للمسائل المائة التى خالف فيها رسولُ

الله ﷺ أهلَ الجاهلية من الاميين والكتابيين . ولمّا رأى علاّمةُ العراق السيد محمود شكرى الالوسى (رحمه الله) اختصارَها ، وأدركَ أنها ليست تأليفاً ولكنها مذكِّرةٌ لتأليفٍ عَمَدَ الى شرحها . ولا أعني شرْحَ ألفاظها بل شرْحَ معانيها ، أي أنه أتمّ العمل الذي كان يريد المصلحُ النجديُّ العظيم أن يُتمه

ولما كان كتاب السيد محمود شكرى الالوسى لا يزال مخطوطاً ويُخشىٰ أن تجتاحه الجوائح ، فقد رأى صديقي أديبُ العراق السيد محمد بهجة الاثرى - وهو خير من أنجبهم العلاّمة الالوسي - أن يجعل هذا الكتاب هديَّةً اليّ عند زيارته القاهرة في شهر صفر سنة ١٣٤٧ ، ورأيتُ من قدر هذه الهدية عندي أن أبادر الى طبعها ووضعها بين أيدي الناس تعميما لفائدتها ، وأن أجعلها هدية المكتبة السلفية الى سيد شباب هذه الدعوة الامير فيصل السعود لانه كما ورث حُماتَها بآبائه ورث صاحبَ الدعوة نفسه من طرف أمّه ، فلم أجد أحداً أولىٰ بها منه . والله ولي التوفيق

القاهرة : ١٢ ربيع الاول ، ١٣٤٧

محب الدين الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للدين المبين ، وأنار لنا الصراط المستقيم * والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين

أما بعد فيقول العبد المفتقر الى عفو الله وغفرانه محمود شكري الألوسي البغدادي كان الله تعالى له ، وأحسن عمله : أني قد وقفت على رسالة صغيرة الحجم كثيرة الفوائد تشتمل علي نحو مائة مسألة من المسائل التي خالف فيها رسولُ الله ﷺ أهلَ الجاهلية من الاميين والكتابيين ، وهي أُمور ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان ولا أُخذت عن نبي من النبيين . ألفها الإمام محيي السنّة ، ومجدّد الشريعة النبوية ، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي تغمده الله تعالى برحمته . فرأيتها في غاية الايجاز ، بل كادت تعدُّ من قبيل الالغاز . قد عبر عن كثير منها بعبارة مجملة ، وأتى فيها بدلائل ليست بمشروحة ولا مفصلة . حتى إن من ينظرها ليَظن أنها فهرس كتاب ، قد عدُت فيه المسائل من

غير فصول ولا أبواب ، ولاشتمالها على تلك المسائل المهمة الآخذة بيد المتمسك بها الى منازل الرحمة ، أحببتُ أن أعلق عليها شرحاً يفصل مجملها ويكشف معضلها من غير ايجاز مخل ولا إطناب ممل. مقتصراً فيه على أوضح الاقوال ومبيناً ما أورده من برهان ودليل، عسى الله أن ينفع بذلك المسلمين ويهديَ به من يشاء من عباده المتقين فيكون سبباً للثواب، والفوز يوم العرض والحساب، والأمن من أليم العذاب ، وما توفيقي الا بالله، عليه توكلت واليه أُنيب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المصنف رحمة الله تعالى عليه :

هذه مسائل خالف فيها رسولُ الله ﷺ ماعليه أهل الجاهلية الكتابيين والاميين مما لا غنى لمسلم عن معرفتها فالضد يظهر حسنه الضدُ ، وبضدها تتميز الأشياء . وأهم ما فيها وأشدُه خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ ، فان انضاف الى ذلك استحسان دين الجاهلية والايمان به تمت الخسارة والعياذ بالله تعالى كما قال تعالى « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون »

تعيّرنا أنّا قليلٌ عديدنا فقلتُ لها إن الكرامَ قليلُ (١)

فالمقصود ان من له بصيرة ينظر الى الدليل ويأخذ مايستنتجه البرهان وان قلّ العارفون به المنقادون له ومن أخذ ما عليه الأكثر وما ألفته العامة من غير نظر لدليل فهو مخطيء سالك سبيل الجاهلية مقدوح عند أهل البصائر

﴿ الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً ﴾

﴿ الثامنة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً فردَّ الله تعالى ذلك بقوله في هود « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبعَ الذين ظلموا ما أُترفوا فيه وكانوا مجرمين » ومعنى الآية « فلولا كان » تحضيض فيه معنى التفجع ، أي فهلا كان « من القرون » أي الأقوام المقتربة في زمان واحد « من قبلكم أولو بقية » أي ذو خصلة باقية من الرأي والعقل أو ذو فضل على أن يكون البقية اسما للفضل والهاء (٢) للنقل ومن هنا يقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ، « ينهون عن الفساد في الارض » الواقع فيما بينهم حسبما ذكر في قصصهم ، وفسر الفساد بالكفر وما اقترن به من المعاصي ، « الا قليلا ممن أنجينا منهم » استثناء منقطع أي ولكن قليلا منهم أنجينا

(١) للسموأل (٢) أي هاء التانيث في « بقية »

لكونهم كانوا ينهون

﴿ انخداع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم ﴾

﴿ التاسعة ﴾ : الاستدلال على المطلوب والاحتجاج بقوم أعطوا من القوة في الفهم والادراك وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك يمنعهم من الضلال ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله سبحانه في الاحقاف « فلما رأوه عارضاً مستقبلَ أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم. تدمرُ كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يُرى الا مساكنهم ، كذلك نجزي القوم المجرمين . ولقد مكنّاهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعُهم ولا أبصارُهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » ومعنى الآية « ولقد مكناهم » أي قوّينا عاداً وأقدرناهم . و « ما » في قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة أو موصوفة و « ان » نافية أي في الذي أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادي، التصرفات كما في قوله تعالى « ألم يَرَوا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم » ولم يكن النفي بلفظ « ما » كراهة لتكرير اللفظ وان اختلف المعنى « وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة » ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا

لكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ، ويستدل بها على شئون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره جل ثناؤه « فما أغنى عنهم سمعهم » حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ، « ولا أبصارهم » حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المرسومة فى صحائف العالم ، « ولا أفئدتهم » حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى « من شيء » أي شيئاً من الاشياء ومن مزيدة للتوكيد وقوله « إذ كانوا يجحدون بآيات الله » تعليل للنفي « وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون « فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » فهذه الآية تبطل الاحتجاج بقوم أعطوا ما أعطوا من القوة في الفهم والادراك وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك يمنعهم من الضلال . ألا ترى أن قوم عاد كما أخبر عنهم التنزيل كانوا من القوة والبسطة في الاموال والابدان والادراك وسعة الاذهان وغير ذلك مما لم يكن مثله للعرب الذين أدركوا الاسلام ومع ذلك ضلوا عن سواء السبيل وكذبوا الرسل بالاباطيل فالتوفيق للايمان بالله ورسله والاذعان للحق وسلوك سبله انما هو فضل من الله تعالى لا لكثرة مال ولا لحسن حال ومن يردُّ الحق ويستدل بكون من هو أحسن حالا منه

لم يقبله ولم يحكم عقله ويتبع ما يوصله اليه الدليل فقد سلك سبيل الجاهلية وحاد عن المحجة المرضية ، ومثل هذه الآية قوله تعالى « وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » . كان اليهود يعلمون من كتبهم رسالة محمد ﷺ وأن الله سيرسل نبياً كريماً من العرب وكانوا قبل بعثته يستفتحون على المشركين ببعثته ويقولون يا ربنا أرسل النبي الموعود ارساله حتى ننتصر على الاعداء. فلما جاءهم ما عرفوا وهو محمد ﷺ كفروا به حسداً منهم أن تكون النبوة في العرب وهم بزعمهم أحسن أثاثاً ورئياً ولم يعلموا أن النبوة والايمان بها فضل من الله يؤتيه من يشاء . ومثلها أيضاً قوله تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحقُّ من ربك فلا تكونن من الممترين » الضمير في قوله يعرفونه عائد على العلم في قوله « ولئن اتبعتَ اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين » فكتمانهم الحق وعدم جريهم على مقتضى علمهم لما فيهم من الجاهلية والاعتقاد ان فضل الله مقصور عليهم لا يتعدّاهم الى غيرهم وآية الانعام موافقة لهذه الآية لفظاً ومعنى وهي قوله تعالى « قل أي شيء أكبر شهادة قل

الله شهيد بيني وبينكم وأُوحيَ اليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون»

﴿انخداع أهل الثروة بثروتهم﴾

﴿العاشرة﴾ : الاستدلال بعطاء الدنيا على محبة الله تعالى . قال سبحانه « وما أرسلنا في قرية من نذير الاّ قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذَّبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لايعلمون . وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الاّ من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون . والذين يسعون في آياتنا مُعاجزين أولئك في العذاب محضرون . قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يُخلفه وهو خير الرازقين » وقال في سورة القصص « وما كنتَ بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمةً من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون . ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلتَ

الينا رسولا فنتبعَ آياتك ونكون من المؤمنين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما أُوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سِحْرَان تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون . قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتَّبعه ان كنتم صادقين. فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين » وفي آية أخرى في سورة القصص يقول الله سبحانه « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما انَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبكَ من الدنيا وأحسنْ كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض إن الله لا يحب المفسدين . قال انما أوتيته على علم عندي أوَ لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأ كثر جمعا ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون » الى آخر الآية فقد كفانا الله تعالى ابطال هذه الخصلة الجاهلية بقوله في الآية الأولى « قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء » وفي الآية الاخرى بقوله « أولم يعلم ان الله » الخ فعلمنا من ذلك ان محبة الله ورضاء الله انما تكون بطاعته والانقياد لرسله والاذعان للحق باتباع البرهان. وأما كثرة المال وسعة الرزق وعيش الرخاء فلا دليل فيه على نجاة

المنعم عليه بمثل ذلك ولو كانت الدنيا وما فيها تعادل عند الله جناح بعوضة ما سقى من عصاه شربة ماء قال سبحانه « ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقفاً من فضة ومَعارج عليها يظهرون » وعلى ذلك قول القائل [1] :

كم عالم عالم أعيتْ مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا [2]

ومما ينسب لبعض الأكابر :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعداء مال
فان المال يفنى عن قريب وان العلم باقٍ لا يزال

والشواهد كثيرة والمقصود ان ما كان عليه أهل الجاهلية من كون زخارف الدنيا من الادلة على قرب من حازها من الله وقبوله عنده فقول بعيد عن الحق ومذهب باطل لاينبغي لمن له بصيرة أن يعوّل عليه

﴿ الاستخفاف بالحق لضعف أهله ﴾

﴿ الحادية عشرة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بأخذ الضعفاء به وضعف فهم من أخذ به على مايدل عليه قول قوم نوح له كما حكاه عنهم الكتاب الكريم قال تعالى فى سورة الشعراء « كذّبت قوم نوح المرسلين . إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون . اني لكم

(١) هو ابو الحسين احمد بن يحيى المشهور بابن الراوندي الملحد

(٢) وبعده : هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجريَ الا على رب العالمين ؛ فاتقوا الله وأطيعون. قالوا أنؤمن لك واتَّبعك الارذلون . قال وما علمي بما كانوا يعملون . انْ حسابهم الا على ربي لو تشعرون. وما أنا بطارد المؤمنين .ان أنا الا نذير مبين »
فانظر الى قوم نوح كيف استنكفوا من اتباع نبيهم لسبب اتباع الضعفاء له وذلك لكون مطمح أنظارهم الدنيا والاَّ لو كانت الآخرة همهم لاتبعوا الحق اينما وجدوه ولكن لجاهليتهم أعرضوا عن الحق لاتباع شهواتهم . وانظر الى هرقل لما كان من العقل والبصيرة على جانب عظيم اعتقد اتباع الضعفاء دليلا على الحق فقال فى جملة ما سأل أبا سفيان عن رسول الله ﷺ : وسألتك أشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرتَ ان ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل . ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة هود « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه اني لكم نذير مبين . ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم. فقال الملأُ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا باديَ الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » الآيات

﴿ وصمُ انصار الحق بما ليس فيهم ﴾

﴿ الثانية عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية رمي من اتبع الحق بعدم الاخلاص وطلب الدنيا . فرد الله عليهم بقول نبيهم الذي

حكاه الله عن نوح فى الآية الاولى المذكورة فى المسألة الحادية عشرة بقوله « قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون . قال وما علمي بما كانوا يعملون . انْ حسابهم الاعلى ربي لو تشعرون » . ومقصودهم ان اتباعك فقراء آمنوا بك لينالوا مقصدهم من العيش لا ان ايمانهم كان لدليل يقتضي صحة ما جئت به ، فلهذا رد عليهم بما رد

﴿ التكبر عن نصرة الحق لان انصاره ضعفاء ﴾

﴿ الثالثة عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية . الاعراض عن الدخول فى الحق الذي دخل فيه الضعفاء تكبراً وأنفة ، فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله فى سورة الانعام « ولا تطرُدِ الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنّا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » . ومثل ذلك قوله تعالى « عبس وتولى أنْ جاءه الاعمى » وغير ذلك . وحاصل الرد ان من آمن من هؤلاء الضعفاء انما كان ايمانه عن برهان لا كما زعم خصومهم ولست أنت بمسئول عنهم ولاهم مسئولين عن حسابك ، فطردُهم عن باب الايمان من الظلم بمكان

﴿ استدلالهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقا ﴾

﴿ الرابعة عشرة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقاً . قال تعالى فى سورة الاحقاف « وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم » بعد قوله « قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لايهدي القوم الظالمين »

﴿ جهلهم بالجامع والفارق ﴾

﴿ الخامسة عشرة ﴾ : الاستدلال بالقياس الفاسد وانكار القياس الصحيح وجهلهم بالجامع والفارق . قال تعالى فى سورة المؤمنين « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الابشر مثلكم يريدأن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين . ان هو الا رجل به جِنة فتربصوا به حتى حين » وقبل الآية « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه » شروع فى بيان اهمال الناس وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد سبحانه وتعالى من النعم قبل هذه الآية ومن خافهم من زوالها وفى ذلك تخويف لقريش ؛ وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لايخفى وجهه . فقال متعطفاً عليهم ومستميلا لهم الى الحق « ياقوم اعبدوا الله » أي

اعبدوه وحده «مالكم من اله غيره» استئناف مسوق لتعليل العبادة المأمور بها «أفلا تتقون» الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أتعرفون ذلك أي مضمون قوله تعالى « ما لكم من إله غيره » فلا تتقون عذابه تعالى الذي يستوجبه ما أنتم عليه من ترك عبادته سبحانه وحده واشراككم به عز وجل فى العبادة مالا يستحق الوجود ـ لولا ايجاد الله اياه ـ فضلا عن استحقاق العبادة، فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق مايوجبه «فقال الملأ» أى الاشراف « الذين كفروا من قومه »وصف الملأ بالكفر مع اشراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم وشدة شكيمتهم فيه وليس المراد من ذلك الا ذمهم دون التميز عن اشراف آخرين آمنوا به عليه السلام أولم يؤمن به أحد من أشرافهم كما يفصح عنه قوله « ما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا » وهذا القول صدر منهم لعوامهم «ما هذا الا بشر مثلكم» أي فى الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه ، وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة فى وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة، وصفوه بقوله سبحانه وتعالى «يريد أن يتفضل عليكم» اغضابا للمخاطبين عليه عليه السلام واغراء لهم على معاداته . والتفضل طلب الفضل وهو كناية عن السيادة كأنه

قيل يريد أن يسودكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم . «ولو شاء الله لانزل ملائكة» بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام أي ولو شاء الله تعالى إرسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لأنزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال «ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين» هذا اشارة الى الكلام المتضمن الامر بعبادة الله عز وجل خاصة ، والكلام على تقدير مضاف أي ما سمعنا بمثل هذا الكلام في آبائنا الماضين قبل بعثته عليه السلام . وقدر المضاف لان عدم السماع لكلام نوح المذكور لا يصلح للرد فان السماع لمثله كان في القبول «ان هو الا رجل به جنة» أي ما هو الا رجل به جنون أو جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول «فتربصوا به حتى حين» فاحتملوه واصبروا عليه وانتظروا لعله يفيق مما هو فيه محمول على مرامي أحوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية وارادة التفضل الى وصفه بما ترى وهم يعرفون أنه عليه السلام أرجح الناس عقلا وأرزنهم قولا وهو محمول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله تعالى أنى يؤفكون . والقياس الفاسد والصحيح والجامع والفارق مفصل في كتب الاصول ، فبين الرسل عليهم السلام وسائر الناس مشابهة من

جهة البشرية ولوازمها الضرورية فيصح حينئذ قياس الرسل على غيرهم فيها وعليه قوله تعالى « قل انما أنا بشر مثلكم » . وبين الرسل والانبياء عليهم السلام وغيرهم من البشر فروق كثيرة منها أن الله تعالى اصطفاهم على الناس برسالته وبكلامه ووحيه وخصهم بذلك فلا يقاس أحد من الناس بهم حينئذ من هذه الجهة كما لا يصح قياس غيرهم بهم في سائر خصائصهم التي فصلت في غير هذا الموضع . فالجاهلية لم يميزوا بين القياس الصحيح والفاسد ولا عرفوا الجامع ولا الفارق كما سمعت من قياسهم الرسل على غيرهم وهكذا أتباعهم اليوم ومن هو على شاكلتهم

﴿ الغلوُّ في الصالحين ﴾

﴿ السادسة عشرة ﴾ : الغلو في الصالحين من العلماء والاولياء كقوله تعالى في سورة التوبة « وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » فاتخاذ أحبار الناس أرباباً يحلون ويحرمون ويتصرفون

في الكون وينادون في دفع ضر أوجلب نفع من جاهلية الكتابيين ، ثم سرى الى غيرهم من جاهليه العرب ، وهم اليوم بقايا في مشارق الارض ومغاربها تصديقاً لقول النبي ﷺ « لتتبعن سَنن من كان قبلكم » الحديث. حتى نرى غالب الناس اليوم معرضين عن الله وعن دينه الذي ارتضاه متوغلين في البدع تائهين في أودية الضلال معادين للكتاب والسنة ومن قام بهما فأصبح الدين منهم في أنين والاسلام في بلاء مبين . وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ الاعتذار بعدم الفهم ﴾

﴿ السابعة عشرة ﴾ : اعتذارهم عن اتباع الوحي بعدم الفهم قال تعالى في سورة البقرة « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقاً تقتلون . وقالوا قلوبنا غُلْفٌ بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون » وفي سورة النساء «فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا » . الغلف جمع أغلف كاحمر وحمر ؛ وهو الذي لا يفقه . وأصله ذو القلفة الذي لم يختن أو جمع غلاف ويجمع على غلف بضمتين أيضاً ، وأرادوا على الاول قلوبنا مغشاة

بأغشية خلقية مانعة عن نفوذ ماجئتَ به فيها . وهذا كقولهم قلوبنا في أكنّة مما يدعونا اليه . قصدوا به اقناط النبي ﷺ عن الاجابة وقطع طمعه عنهم بالكلية . ومنهم من قال معنى غلف مغشاة بعلوم من التوراة تحفظها أن يصل اليها ما تأتي به ، أو بسلامة من الفطرة كذلك . وعلى الثاني أنهـا أوعية العلم فلو كان ما تقوله حقاً وصدقاً لوعته . قال ابن عباس وقتادة والسدّي : أو مملوءة علما فلا تسع بعدُ شيئـا فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره . ومنهم من قال : أرادوا أنها أوعية العلم فكيف يحل لنا اتباع الامي . ولايخفى بعده. وقال تعالى في سورة هود « وياقوم لايجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قومُ لوط منكم ببعيد . واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه إن ربي رحيم ودود . قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينـا بعزيز » وهذه الآية بمعنى الآية الاولى . وقد كذبهم الله تعالى فى دعواهم هذه في آيات كثيرة وذكر أن السبب في عدم الفهم انما هو الطبع على القلوب بكفرهم لاالقصور في البيان والتفهيم . وما أحسن قول القائل [1] :

---

(١) هو ابو العلاء المعري

والنجمُ تستصغرُ الابصار صورته
والذنب للطرف لا للنجم في الصغرِ

﴿ انكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم ﴾

﴿ الثامنة عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية أنهم لايقبلون من الحق إلا ماتقول به طائفتهم قال تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين » . ومعنى « نؤمن بما أنزل علينا » أي نستمر على الايمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل في تقرير حكمها، ومرادهم بضمير المتكلم إما أنبياء بني اسرائيل وهو الظاهر وفيه إيماء الى أن عدم ايمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله على من ليس منهم واما أنفسهم . ومعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام. وذموا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ودسائس اليهود مشهورة ، أو لانهم تأولوا الامر المطلق العام ونزلوه على خاص هو الايمان بما أنزل عليهم كما هو ديدنهم في تأويل الكتاب بغير المراد منه . ويكفرون بما وراءه وهو الحق أي هم مقارنون لحقيقته أي عالمون بها « مصدقاً لما معهم » لان كتب الله

يصدق بعضها بعضاً ، فالتصديق لازم لاينتقل وقد قررت مضمون الخبر لانها كالاستدلال عليه ولهذا تضمنت رد قولهم: نؤمن بما أنزل علينا حيث أن من لم يصدق بما وافق التوراة لم يصدق بها . « قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » أمرٌ للنبي ﷺ أن يقول ذلك تبكيتاً لهم حيث قتلوا الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة وهي لاتسوّغه

﴿التمسك بخرافات السحر﴾

﴿ التاسعة عشرة ﴾ : من خصالهم الاعتياض عن كتاب الله تعالى بكتب السحر كما قال تعالى في سورة البقرة « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون . واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر وما أُنزل على الملَكين ببابل هاروت وماروت وما يعلّمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لَمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » والكلام على هذه الآية في التفاسير مشهور . وهذه الخصلة الجاهلية موجودة اليوم في كثير من الناس ، لاسيما من تنسب الى

الصالحين وهو عنهم بمراحل ، فيتعاطى الاعمال السحرية من امساك الحيات وضرب السلاح والدخول فى النيران وغير ذلك مما وردت الشريعة بابطاله فأعرضوا ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما ألقاه اليهم شياطينهم وادعوا أن ذلك من الكرامات مع أن الكرامة لاتصدر عن فاسق ومن يتعاطى تلك الاعمال فسقهم ظاهر للعيان ولذا اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، وفى مثلهم قال تعالى « الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

﴿ التناقض في الانتساب ﴾

﴿ العشرون ﴾ : تناقضهم في الانتساب فينتسبون الى ابراهيم عليه السلام والى الاسلام ، مع اظهارهم ترك ذلك والانتساب الى غيره

﴿ صرف النصوص عن مدلولاتها ﴾

﴿ الحادية والعشرون ﴾ : تحريف كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . ولكم في هذا العصر من هو على شاكلتهم تراه يصرف النصوص ويأوّلها الى ما يشتهيه من الأهواء

﴿ تحريف كتب الدين ﴾

﴿ الثانية والعشرون ﴾ : تحريف العلماء لكتب الدين . قال الله تعالى « ومنهم أميون لايعلمون الكتاب الا اماني وان هم

الا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ومن نظر الى قضاة هذا الزمان وما تلاعبوا به من الاحكام وصرف النصوص الى ما تهواه أنفسهم وتبديل الحق وابطاله بما ينالونه من الرشى وغير ذلك مما هم عليه اليوم تبين له من ذلك بحر لاساحل له . وهكذا بعض المبتدعة وغلاة القبور ، وقد بيّن حالهم في غير هذا الموضع

﴿ الانصراف عن هداية الدين الى ما يخالفها ﴾

﴿ الثالثة والعشرون ﴾ : وهي من أعجب المسائل والخصال معاداة لدين الذي انتسبوا اليه أشد العداوة ، وموالاتهم لمذهب الكفار الذين فارقوهم أكمل الموالاة ، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر وهو من دين آل فرعون ، ومثل هؤلاء في الأمة الاسلامية كثير هجروا السنّة وعادوها ونصروا أقوال الفلاسفة وأحكامهم

﴿ كفرهم بما مع غيرهم من الحق ﴾

﴿ الرابعة والعشرون ﴾ : انهم لما افترقوا وكل طائفة لاتقبل من الحق الا ما قالته طائفتهم وكفروا بما مع غيرهم من الحق . قال تعالى في سورة البقرة « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء

وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » ولا شك ان هذا من خصال الجاهلية وعليها اليوم كثير من الناس لا يعتقد الحق الا معه لا سيما أرباب المذاهب يرى كل أهل مذهب ان الدين معه لا يعدوه الى غيره وكل حزب بما لديهم فرحون

وكل يدعى وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

والحزم أن ينظر الى الدليل فما قام عليه الدليل فهو الحق الحري ان يتلقى بالقبول وما ليس عليه برهان ولا حجة ينبذ وراء الظهور وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد الا من اصطفاه الله لرسالته

﴿ ادعاء كل طائفة حصر الحق فيها ﴾

﴿ الخامسة والعشرون ﴾ : انهم لما سمعوا قوله ﷺ في حديث الفرق « وستفترق أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة » ادعى كل فرقة انها هي الناجية كما حكى الله تعالى عن اليهود والنصارى في قوله تعالى « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » مع أن النبي ﷺ بيّن في آخر الحديث المراد من الفرقة الناجية فقال « وهم ما كنت أنا عليه وأصحابي » أو كما قال. ورد الله تعالى عليهم بقوله « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى

تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا يحزنون» والمقصود أنهم ليس لهم برهان على هذه الدعوى بل الدليل على خلاف ذلك ، وأبو العباس تقي الدين تكلم على حديث الفرق في كتابه (منهاج السُّنة) بما لامزيد عليه حيث استدل به الرافضي على حقية مذهبه وبطلان مذهب أهل السُّنة ، فراجعه ان اردته

﴿ أنكار ما أقروا انه من دينهم ﴾

﴿ السادسة والعشرون ﴾ : انهم أنكروا ما أقروا انه من دينهم كما فعلوا في حج البيت فتعبدوا بانكاره والبراءة منه مع ذلك الاقرار كما قال تعالى في سورة البقرة «وإذجعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى» الى أن قال «ومن يرغبُ عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوبُ يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون»

يقال ان سبب نزول قوله «ومن يرغب» الخ ماروى ان عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال : قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة «اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ، ومن لم يؤمن به

فهو ملعون » فأسلم سلمة وأبو مهاجر فنزلت . انتهى

﴿ المجاهرة بكشف العورات ﴾

﴿ السابعة والعشرون ﴾ : المجاهرة بكشف العورات . قال تعالى في سورة الاعراف « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون ، قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون » قال بعض المفسرين : الفاحشة هنا الفعلة القبيحة المتناهية في القبح ، والتاء اما لأنها مجراة على الموصوف المؤنث أي فعلة فاحشة ، واما للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها هنا عبادة الأصنام وكشف العورة في الطواف ونحو ذلك . وعن الفراء تخصيصها بكشف العورة وفي الآية حذف أي : واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آبائنا والله أمرنا بها محتجين بأمرين : بتقليد الآباء ، والافتراء على الله . وكان من سنة الحمس انهم لايخرجون أيام الموسم الى عرفات ، انما يقفون بالمزدلفة . وكانوا لايسلأون ولا يأقطون ولايرتبطون عنزاً ولا بقرة ولا يغزلون صوفاً ولا وبراً ولايدخلون بيتاً من الشعر والمدر وانما يكتنون بالقباب الحمر في الاشهر الحرم ، ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل اذا دخلوا الحرم وأن يتركوا ثياب الحل ويستبدلوها بثياب الحرم إما شراء

وإما عارية وإما هبة ، فان وجدوا ذلك فيها والا طافوا بالبيت عرايا . وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك غير ان المرأة كانت تطوف في درج مفرج الفوائم والمآخير . قالت امرأة (١) وهي تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بعضه أو كلهُ   وما بدا منه فلا أُحلّهُ
أخثم مثل القعب بادٍ ظله   كأن حُمّى خيبر تمله

وكلفوا العرب ان يفيضوا من مزدلفة وقد كانوا يفيضون من عرفة الى غير ذلك من الأمور التي ابتدعوها وتشرعوها مما لم يأذن به الله . ومع ذلك انهم كانوا يدّعون انهم على شريعة أبيهم ابراهيم عليه السلام وما ذلك الا لجاهليتهم

وغالب من ينتمي الى الاسلام اليوم ابتدعوا في الدين مالم يأذن به الله : فمنهم من اتخذ ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة يتعبدون بها في بيوت الله ومساجده ، ومنهم من اتخذ الطواف على القبور والسفر اليها والنذور أخلص عبادته وأفضل قرباته ، ومنهم من ابتدع الرهبانية والحيل الشيطانية وزعم أنه سلك سبيل الزهاد وطريق العبـاد ومقصده الاعلى نيل شهواته الحيوانية والفوز بهذه الدنيا الدنية ، الى غير ذلك مما يطول ولا يعلم ماذا يقول

الى ديّان يوم الدين نمضي   وعند الله تجتمع الخصومُ

(١) هي ضباعة بنت عامر بن صعصعة

﴿ التعبد بتحريم الحلال ﴾

﴿ الثامنة والعشرون ﴾ : التعبد بتحريم الحلال فردّ الله تعالى عليهم ذلك بقوله تعالى في سورة الاعراف « يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون ، قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تُشركوا بالله مالم ينزّل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون » ومعنى الآيات :يابني آدم خذوا زينتكم عندكل مسجد ، أي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند طواف أو صلاة . وسبب النزول انه كان أناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى انّ كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعلق على سفلها سيوراً مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر من الذباب وهي تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أُحلُّه

فأنزل الله تعالى هـذه الآية « وكلوا واشربوا » قال الكلبي : كان أهل الجاهليـة لايأكلون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يارسول الله نحن أحق بذلك ، فأنزل الله تعالى الآية

وفيه يظهر وجه ذكر الأكل والشرب هنا. « ولاتسرفوا» بتحريم الحلال كما هو المناسب لسبب النزول، « انه لايحب المسرفين» بل يبغضهم ولا يرضى أفعالهم. « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » من الثياب وكل ما يتجمل به وخلقه لنفعهم من الثياب كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف «والطيبات من الرزق» أي المستلذات ، وقيل المحللات من المآكل والمشارب كلحم الشاة وشحمها ولبنها « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » أي هي لهم بالاصالة لمزيد كرامتهم على الله تعالى ، والكفرة وان شاركوهم فيها فبالتبع فلا اشكال في الاختصاص «خالصة يوم القيامة » أي لايشاركهم فيها غيرهم « كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » أي مثل تفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لمن يعلم مافي تضامينها من المعاني الرائقة . « قل انما حرم ربي الفواحش » أي ما تزايد قبحه من المعاصي ومنه ما يتعلق بالفروج ، «ما ظهر منها وما بطن » بدلٌ من الفواحش ، أي جهرها وسرها، وعن البعض «ما ظهر» الزنا علانية «وما بطن » الزنا سرا وكانوا يكرهون الاول ويفعلون الثاني فنهوا عن ذلك مطلقا. وعن مجاهد «ماظهر» التعري في الطواف «ومابطن» الزنا. والبعض يقول : الاول طواف الرجال بالنهار والثاني طواف النساء بالليل عاريات. « والاثم» أي ما يوجب الاثم وأصله الذم ثم أطلق على مايوجبه من مطلق الذنب ، وذكر

للتعميم بعد التخصيص بناء على ما تقدم من معنى الفواحش . ومنهم من قال : ان الاثم هو الخمر وعليه أهل اللغة ، وأنشدوا له قول الشاعر :

نهانا رسولُ الله أن نقرب الزنا
وأن نشرب الاثم الذي يوجب الوزرا

وقول الآخر :

شربت الاثم حتى ضل عقلي
كذاك الإثم يذهب بالعقولِ

«والبغي بغير الحق» وهو الظلم والاستطالة على الناس، وأفرد بالذكر بناء على التعميم فيما قبله أو دخوله في الفواحش المبالغة في الزجر عنه «وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم: والله أمرنا بها. ولا يخفى أن متصوّفة زماننا على هذه الخصلة الجاهلية فقد حرموا على أنفسهم زينة الله والطيبات من الرزق ليعتقد الناس صلاحهم وابتدعوا الخلوات والرياضات وغير ذلك من شعائرهم فى المأكل والملبس وسائر شئونهم وما دروا أنهم بذلك من القوم الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿ الالحاد في اسماء الله سبحانه وصفاته ﴾

﴿ التاسعة والعشرون ﴾ : الالحاد في أسمائه وصفاته . قال سبحانه في سورة الاعراف « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » تفسير هذه الآية : « ولله الاسماء الحسنى » تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق بشأنه أثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة « فادعوه بها » إما من الدعوة بمعنى التسمية كقولهم دعونه زيداً أو بزيد أي سميته ، أو الدعاء بمعنى النداء كقولهم دعوت زيداً أي ناديته ، « وذروا الذين يلحدون في أسمائه » أي يميلون وينحرفون فيها عن الحق الى الباطل يقال ألحد اذا مال عن القصد والاستقامة ، ومنه لحد القبر لكونه في جانبه بخلاف الضريح فانه في وسطه. والالحاد في أسمائه سبحانه أن يسمى بما لا توقيف فيه أو بما يوهم معنى فاسداً كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي ونحو ذلك ، فالمراد بترك المأمور به الاجتناب عن ذلك ، وباسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون بها . وقال تعالى « كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك وهم

يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب » وهذه الآية في سورة الرعد . عن قتادة وابن جريج ومقاتل ان الآية نزلت في مشركي مكة لما رأوا كتاب الصلح يوم الحديبية وقد كتب فيه علي عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة ، ومنهم من قال سمع أبو جهل قول رسول الله ﷺ يا الله يا رحمن فقال : ان محمداً ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين فنزلت . وعن بعضهم أنه لما قيل لكفار قريش : اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت . وقيل غير ذلك مما يطول . وقال تعالى « وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » . من سورة حم السجدة . وفي هذه الآية اخبار أن أهل الجاهلية كانوا يلحدون في صفاته كما كانوا يلحدون في اسمائه تعالى . أخرج احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وجماعة عن ابن مسعود[1] قال : كنت

---

(١) في الاصل « ابي مسعود » وهو خطأ صححناه من فتح الباري (٨ : ٣٩٧) وتيسير الوصول (١ : ١٧٤ سلفية)

مستنداً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وثقفيان أو ثقفي وقرشيان كثير لحم بطونهم قليل فقة قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه . فقال أحدهم : أترون الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر إنا اذا رفعنا أصواتنا يسمعه واذا لم نرفع لم يسمع . فقال الآخر : إن سمع منه شيئا سمعه كله . قال فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله يعلم كثيراً مما تعملون — الى قوله — من الخاسرين » . فهذا هو الالحاد فى الصفات . وأنت تعلم أن ما عليه أكثر المتكلمين المسلمين من الالحاد في الاسماء والصفات فوق ما كان عليه أهل الجاهلية فسموا الله بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان . ومنهم من قال ليس لله صفات قامت به ، ومنهم من قال صفاته ليست عين ذاته ولا غيره ، ومنهم من قال ان صفاته غيره ، ومنهم من قال ان الله لم يتكلم بالكتب التى أنزلها وأثبتوا له الكلام النفسى وانه لم يكلم أحداً من رسله ، الى غير ذلك من الالحاد الذي حشوا به كتبهم وملأوها من هذا الهذيان وظنوا أن الآية مختصة بأهل الجاهلية وما دروا أنهم الفرد الكامل لعمومها ومن بصره الله تعالى ونور قلبه أعرض عن أخذ عقائده من كتب هؤلاء الطوائف وتلقى معرفة إلهه من كتب السلف المشتملة على نصوص الكتاب والسنة

﴿ نسبة النقائص الى الله سبحانه ﴾

﴿ الثلاثون ﴾ : نسبة النقائص اليه سبحانه كالولد والحاجة فان النصارى قالوا : المسيح ابن الله ، وطائفة من العرب قالوا : الملائكة بنات الله ، وقوم من الفلاسفة قالوا بتوليد العقول ، وقوم من اليهود قالوا العزير ابن الله الى غير ذلك . وقد نزه الله نفسه عن كل ذلك ونفاه عنه بقوله تعالى « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » وبقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون » وقوله « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السماوات والأرض أنّى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم » وهذا يعم جميع الانواع التي تذكر في هذا الباب عن بعض الامم كما أن ما نفاه من اتخاذ الولد يعم أيضاً جميع أنواع الاتخاذات لا اصطفاؤه كما قال تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والارض وما بينهما واليه المصير » قال السدى : قالوا ان الله تعالى أوحى الى اسرائيل ان ولدك بكرى من الولد فأدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي

مناد اخرجوا كل مختون من بني اسرائيل وقد قال الله تعالى « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله » وقال « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل » وقال تعالى « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السماوات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شي. فقدره تقديرا » « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » وقال سبحانه وتعالى « وقال الله لاتتخذو الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون وله مافي السماوات والارض وله الدين واصبا » الى قوله « ويجعلون لما لايعلمون نصيبا » الى قوله « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » وقال الله تعالى « ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحورا . أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثاً انكم لتقولون قولا عظيما . ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفوراً » « قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لا بتغوا الى ذي العرش سبيلا» وقال « فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ، أم خلقنا الملائكة اناثاً وهم شاهدون الا انهم

من افكهم ليقولون وَلَدَ الله وانهم لـكاذبون اصطفى البنات على البنين مالـكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون . أم لـكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين الجِنة نسباً ولقد علمت الجِنة انهم لمحضرون . سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلَصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صالِ الجحيم » وقال « أفرأيتم اللات والعُزّى ومناة الثالثة الأُخرى ألـكم الذكر وله الأُنثى . تلك اذاً قسمة ضيزى ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ـ الى قوله ـ ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى » وقال تعالى « وجعلوا له من عباده جزءا » قال بعض المفسرين جزءا أي نصيباً وبعضا ، وقال بعضهم : جعلوا لله نصيباً من الولد . وعن قتادة ومقاتل عـدلا ؛ وكلا القولين صحيح فانهم يجعلون له ولداً والولد يشبه أباه ، ولهذا قال « واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا » أي البنات كما قال في الآية الأخرى « واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم » فقد جعلوها للرحمن مثلا وجعلوا له من عباده جزءاً فان الولد جزء من الوالد قال ﷺ « انما فاطمة بضعة مني » وقوله: « وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير

علم » قال الكلبي نزلت فى الزنادقة قالوا ان الله وابليس شريكان فالله خالق النور والناس والدواب ، وابليسُ خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب . وأما قوله « وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً » فقيل : هو قولهم الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جناً لاختفائهم عن الابصار وهو قول مجاهد وقتادة . وقيل قالوا لحي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس : هم بنات الله . وقال الكلبي قالوا لعنهم الله بل بذور يخرج منها الملائكة وقوله « خرقوا له بنين وبنات بغير علم » قال بعض المفسرين : هم كفار العرب قالوا الملائكة والاصنام بنات الله ، واليهود قالوا عزير ابن الله والذين كانوا يقولون من العرب ان الملائكة بنات الله وما نقل عنهم من أنه صاهر الجن فولدت له الملائكة فقد نفاه عنه بامتناع الصاحبة وبامتناع أن يكون منه جزء فانه صمد . وقوله « ولم يكن له صاحبة » وهذا لأن الولادة لا تكون الاّ من أصلين سواء في ذلك تولد الاعيان ـ التي تسمى الجواهر ـ وتولد الاعراض والصفات ، بل ولا يكون تولد الاعيان الا بانفصال جزء من الوالد فاذا امتنع أن تكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد ، وقد علموا كلهم أن لا صاحبة له لا من الملائكة ولا من الجن ولا من الانس فلم يقل أحد منهم ان له صاحبة فلهذا احتج بذلك عليهم .

وما حكي عن بعض كفار العرب أنه صاهر الجن فهذا فيه نظر وذلك ان كان قد قيل فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة ، وكذلك ما قالته النصارى من أن المسيح ابن الله وما قاله طائفة من اليهود ان العزير ابن الله فانه قد نفاه سبحانه بهذا وبهذا . وتمام الكلام في هذا المقام في كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) و (تفسير سورة الاخلاص) وغيرهما من كتب شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه

﴿ تنزيههم المخلوق عما نسبوه للخالق ﴾

﴿ المسألة الحادية والثلاثون ﴾ : تنزيه المخلوق عما نسبوه للخالق مثل تنزيه احبارهم عن الولد والزوجة لأنهم يقولون ان الراغبين في استحصال الكمالات كالرهبان واضرابهم يترفعون عن أن يتدنسوا بدناءة التمتع بالنساء اقتداء بالمسيح عليه السلام . فانظر الى سخافة العقول وما قادهم اليه ضلالهم حتى اعترضوا على سيدنا ومولانا محمد ﷺ في زواجه . وما أحسن ما قال الفاروقي[1] رداً على بعض احبار النصارى بقوله :

قل للفرسنل قدوة الرهبان الجاثليق البترك الرباني
أنت الذي زعم الزواج نقيصة ممن حماه الله عن نقصان

---

(١) عبد الباقي العمري من شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري

ونسبت تزويج الاله بمريم في زعم كل مثلث نصراني

ومن جعل من العرب الملائكة بنات الله كان يأنف منهن وسنّ وأدهن وقتلهن ونسبوا لله ما يكرهون . والمقصود ان هذه المقالات وأشباهها منشأها الجهل بما جاءت به الرسل وعدم تحكيم العقل والا فأهل البصائر لا يتطرق اليهم هذا الخلل والله الموفق

﴿ قولهم بالتعطيل ﴾

﴿ الثانية والثلاثون ﴾ : القول بالتعطيل كما كان يقوله آل فرعون. والتعطيل انكار أن يكون للعالَم صانع كما قال فرعون لقومه «ما علمتُ لكم من اله غيري» ونحو ذلك ولم يخلُ العالم عن مثل هذه الجهالات في كل عصر من العصور ، وابناء هذا الزمان الا النادر على هذه العقيدة الباطلة ، ولو نظروا بعين الانصاف والتدبر لعلموا أن كل موجود في العالم يدل على خالقه وبارئه :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحدُ

ومن أين للطبيعة ايجاد مثل هذه الدقائق التي نجدها فى الآفاق والأنفس وهي عديمة الشعور لا علم لها ولا فهم . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

﴿ الشركة في الملك ﴾

﴿ الثالثة والثلاثون ﴾ : الشركة في الملك كما تقوله المجوس .

والمجوس أمة تعظم الانوار والنيران والماء والأرض ويقرون بنبوة زرادشت ولهم شرائع يصيرون اليها . وهم فرق شتى منهم المزدكية أصحاب مزدك الموبذ والموبذ . عندهم العالم القدوة ، وهؤلاء يرون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء والطرق وغيرها . ومنهم الخرمية أصحاب مالك الخرمي وهم شر طوائفهم لا يقرون بصانع ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والاسماعيلية والنصيرية والنسكية والورزية والحاكمية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ويتفاوتون في التفضيل . فالمجوس شيوخ هؤلاء كلهم وأئمتهم وقدوتهم وان كان المجوس قد يتقيدون بأصل دينهم وشرائعهم وهؤلاء لا يتقيدون بدين من ديانات العالم ولا بشريعة من الشرائع

﴿ انكار النبوات ﴾

﴿ الرابعة والثلاثون ﴾ : انكار النبوات . وكانوا يقولون ما حكى الله عنهم بقوله في الانعام « اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسألكم عليه أجراً ان هو الا ذكرى للعالمين . وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم

قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » تفسير هذه الآية قوله « وما قدروا الله » شروع في تقرير أمر النبوة بعد ما حكى سبحانه عن ابراهيم عليه السلام أنه ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك وقرر سبحانه ذلك بأوضح الدليل بأوضح وجه « حق قدره » أي حق معرفته . وعن بعضهم ما عظموا الله حق تعظيمه إذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما « ما أنزل الله على بشر من شيء » أي شيئاً من الاشياء . واختلف في قائلي ذلك القول الشنيع ، فعن مجاهد أنهم مشركو قريش والجمهور على أنهم اليهود . ومرادهم من ذلك الطعن في رسالته ﷺ على سبيل المبالغة ، فقيل لهم على سبيل الالزام « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى » فان المراد أنه تعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام ولا سبيل لكم الى انكار ذلك ، فلم لا تجوزون انزال القرآن على محمد ﷺ . والكلام في اثبات النبوات مفصل في غير هذا الموضع . والمقصود ان انكارها من سنن الجاهلية ، وفي الناس اليوم كثير ممن هو على شاكلتهم ومعوج طريقهم

﴿ جحودهم القدر واحتجاجهم به على الله ﴾

﴿ الخامسة والثلاثون ﴾ : جحود القدر والاحتجاج به على الله تعالى ومعارضة شرع الله بقدر الله . وهذه المسألة من غوامض مسائل الدين والوقوف على سرها عسر إلا على من وفقه الله تعالى ، ولان

القيم كتاب جليل في هذا الباب سماه (شفاء العليل، في القضاء والقدر والحكمة والتعليل) وقد أبطل الله سبحانه هذه العقيدة الجاهلية بقوله تعالى في آخر سورة الانعام «سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء . كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هو عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون إلا الظن وان أنتم الا تخرصون ، قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » تفسير هذه الآية « سيقول الذين اشركوا » حكاية لفن آخر من أباطيلهم « لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » لم يريدوا بهذا الكلام الاعتذار عن ارتكاب القبيح إذ لم يعتقدوا قبح أفعالهم ، بل هم كما نطقت به الآيات يحسبون انهم يحسنون صنعاً وانهم انما يعبدون الاصنام ليقربوهم الى الله زلفى وان التحريم انما كان من الله عز وجل فما مرادهم بذلك الا الاحتجاج على أن ما ارتكبوه حق ومشروع ومرضى عند الله تعالى، على أن المشيئة والارادة تساوي الأمر وتستلزم الرضا كما زعمت المعتزلة فيكون حاصل كلامهم ان ما نرتكبه من الشرك والتحريم وغيرهما تعلقت به مشيئة الله تعالى وارادته وكل ما تعلقت به مشيئته سبحانه وارادته فهو مشروع ومرضي عند الله تعالى . وبعد أن حكى سبحانه وتعالى ذلك عنهم ردّ عليهم بقوله عز من قائل « كذلك كذب الذين من قبلهم» وهم أسلافهم

المشركون . وحاصله أن كلامهم يتضمن تكذيب الرسل عليهم السلام وقد دلت المعجزة على صدقهم . أو نقول حاصله ان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع ، وكل ما هذا شانه فلا تكليف به لكونه مشروطا بالاستطاعة فينتج أن ما ارتكبه من الشرك وغيره لم يتكلف بتركه ولم يبعث له نبي . فردّ الله تعالى عليهم بأن هذه كلمة صدق أريد بها باطل لأنهم أرادوا بها أن الرسل عليهم السلام في دعواهم البعثة والتكليف كاذبون . وقد ثبت صدقهم بالدلائل القطعية ، ولكون ذلك صدقاً أريد به باطل ذمهم الله تعالى بالتكذيب . ووجوب وقوع متعلق المشيئة لا ينافي صدق دعوى البعثة والتكليف لأنها لاظهار المحجة وابلاغ الحجة «حتى اذا ذاقوا بأسنا» أي نالوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم بتكذيبهم وفيه إيماء الى أن لهم عذابا مدخراً عند الله تعالى لان الذوق أول ادراك الشيء « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » أي هل لكم من علم بأن الاشراك وسائر ما أنتم عليه مرضي لله تعالى فتظهروه لنا بالبرهان ؟ وهذا دليل على أن المشركين أنما استوجبوا التوبيخ على قولهم ذلك لانهم كانوا يهزءون بالدين ويبغون رد دعوة الانبياء عليهم السلام حيث قرع مسامعهم من شرائع الرسل عليهم السلام تفويض الأمور اليه سبحانه وتعالى ، فحين طالبوهم بالاسلام والتزام الأحكام احتجوا عليهم بما أخذوه من كلامهم مستهزئين بهم عليهم الصلاة والسلام

ولم يكن غرضهم ذكر ما ينطوي عليه عقدهم كيف لا والايمان بصفات الله تعالى فرع الايمان به عز شأنه وهو عنهم مناط العيوق . « ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » أي تكذبون على الله تعالى « قل فلله الحجة البالغة » أي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات والمراد بها في المشهور الكتاب والرسول والبيان « فلو شاء لهداكم أجمعين » بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية البعض الصارفين اختيارهم الى سلوك طريق الحق ، وضلال آخرين صرفوه الى خلاف ذلك . ومن الناس من ذكر وجهاً آخر في توجيه ما في الآية ، وهو ان الرد عليهم انما كان لاعتقادهم انهم مسلوبون اختيارهم وقدرتهم وان اشراكهم انما صدر منهم على وجه الاضطرار وزعموا انهم يقيمون الحجة على الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام بذلك فرد الله تعالى قولهم في دعواهم عدم الاختيار لأنفسهم وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب الرسل واشرك بالله عز وجل واعتمد على انه انما يفعل ذلك بمشيئة الله تعالى ورام افحام الرسل بهذه الشبهة . ثم بيّن سبحانه انهم لا حجة لهم في ذلك وان الحجة البالغة له تعالى لا لهم ثم أوضح سبحانه أن كل واقع واقعٌ بمشيئته ، وانه لم يشأ منهم الا ما صدر عنهم وانه تعالى لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعون . والمقصود أن يتمحض وجه الردّ عليهم وتتخلص عقيدة نفوذ السنة وعموم تعلقها

بكل كائن عن الرد وينصرف الردّ الى دعواهم سلب الاختيار لأنفسهم وان اقامتهم الحجة بذلك خاصة واذا تدبرتَ الآية وجدت صدرها دافعاً لصدور الجبرية وعجزها معجزاً للمعتزلة إذ الأول مثبت أن للعبد اختياراً وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في المخالفة والعصيان . والثاني مثبت نفوذ مشيئة الله تعالى في العبد وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الالهيّة وبذلك تقوم الحجة البالغة لأهل السنة على المعتزلة ، والحمد لله رب العالمين . ومنهم من وجه الآية بأن مرادهم ردّ دعوة الانبياء عليهم السلام على معنى أن الله تعالى شاء شركنا وأراده منا وأنتم تخالفون ارادته حيث تدعونا الى الايمان ، فوبخهم سبحانه وتعالى بوجوه عدّة منها قوله سبحانه « فلله الحجة البالغة » فانه بتقدير الشرط أي اذا كان الامر كما زعمتم « فلله الحجة البالغة » ، وقوله سبحانه « فلو شاء » بدل منه على سبيل البيان أي لو شاء لدل كلاً منكم ومن مخالفيكم على دينه فلو كان الامر كما تزعمون لكان الاسلام أيضاً بالمشيئة فيجب أن لا تمنعوا المسلمين من الاسلام كما وجب بزعمكم أن لا يمنعكم الانبياء عن الشرك فيلزمكم أن لا يكون بينكم وبين المسلمين مخالفة ومعاداة بل موافقة وموالاة . وحاصله أن ما خالف مذهبكم من النحل يجب أن يكون عندكم حقاً لانه بمشيئة الله تعالى فيلزم تصحيح الاديان المتناقضة . وفي سورة النحل « وقال الذين

اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين » الكلام على هذه الآية كالكلام على الآية السابقة ولا تراهم يتشبثون بالمشيئة الا عند انخذال الحجة ألا ترى كيف ختم بنحو آخر مجادلاتهم في سورة الانعام في الآية السابقة ، وكذلك في سورة الزخرف وهو قوله تعالى « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويُسألون . وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون .أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون » ويكفي في الانقلاب ما يشير اليه قوله سبحانه « قل فلله الحجة البالغة » والمراد بما حرموه السوائب والبحائر وغيرها ، وفي تخصيص الاشراك والتحريم بالنفي لانهما أعظم وأشهر ما هم عليه . وغرضهم من ذلك تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام والطعن في الرسالة رأساً فان حاصله أي ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع ، فلو أنه سبحانه وتعالى شاء أن نوحده ولا نشرك به شيئاً ونحلل ما أحله ولانحرم شيئاً مما حرمنا كما تقول الرسل وينقلونه من جهته تعالى لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وتحليل ما أحله وعدم تحريم شيء من ذلك وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ

شيئاً من ذلك ، بل شاء ما نحن عليه وتحقق ان ما يقوله الرسل عليهم السلام من تلقاء أنفسهم. فرد الله تعالى عليهم بقوله « كذلك فعل الذين من قبلهم » من الأمم أي أشركوا بالله تعالى وحرموا من دونه ماحرموا وجادلوا رسلهم بالباطل ليدحضوا به الحق «فهل على الرسل الا البلاغ المبين » أي ليست وظيفتهم الا البلاغ للرسالة الموضح طريق الحق والمظهر أحكام الوحي التي منها تحتم تعلق مشيئته تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وأما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاءوا أو أبوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي يتوقف عليها التكليف حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقيقة الرسل عليهم السلام أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك ، فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من الافعال لابدّ في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين . والكلام على هذه الآية ونحوها مستوفى في تفسير روح المعاني وغيره . فجحود القدر والاحتجاج به على الله ومعارضة شرع الله بقدره كل ذلك من ضلالات الجاهلية والمقصود انه لاجبر ولاتفويض ولكن أمر بين أمرين فمن زلت قدمه عن هذه الجادة كان على ما كان عليه أهل الجاهلية وهي الطريقة

التي ردّ عليها الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم

﴿ مسبّة الدهر ﴾

﴿ السادسة والثلاثون ﴾ : مسبة الدهر . كقولهم في سورة الجاثية « وما يهلكنا الا الدهر » وذلك أن الله تعالى أراد بيان أحكام ضلالهم والختم على سمعهم وقلوبهم وجعل غشاوة على أبصارهم فحكى عنهم ما صدر عنهم بقوله سبحانه وتعالى « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا « التي نحن فيها » نموت ونحيي » أي تموت طائفة وتحيي طائفة ولا حشر أصلا . ومنهم من قال أن كثيراً من عبّاد الأصنام كان يقول بالتناسخ ، وعليه فالمراد بالحياة اعادة الروح لبدن آخر « وما يهلكنا الا الدهر » أي طول الزمان . واسنادهم الاهلاك الى الدهر انكار منهم لملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله تعالى وكانوا يسندون الحوادث مطلقاً اليه لجهلهم انها مقدرة من عند الله تعالى وأشعارهم لذلك مملوءة من شكوى الدهر [1] وهؤلاء معترفون

---

(١) مثل قول قائلهم :

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كر الغداة ومر العشي

ومثل قول الآخر :

منع البقاء تقلب الشمس ... وطلوعها من حيث لا تمسي

وقول الآخر :

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال

وكنت اذا اصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال

والشعر في ذلك قديماً وحديثاً كثير

بوجود الله تعالى فهم غير الدهرية فانهم مع اسنادهم الحوادث الى الدهر لا يقولون بوجوده « سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً » والكل يقول باستقلال الدهر بالتأثير. وقد جاء النهي عن سب الدهر أخرج مسلم « لا يسب أحدكم الدهر ، فان الله هو الدهر » وفي رواية لأبي داود والحاكم قال الله عز وجل « يؤذيني ابن آدم يقول : ياخيبة الدهر ، فلا يقل أحدكم ياخيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره » وروى الحاكم أيضاً يقول الله عز وجل « استقرضت عبدي فلم يقرضني وشتمني عبدي وهو لا يدري يقول وادهراه وأنا الدهر » وروى البيهقي « لا تسبوا الدهر . قال الله عز وجل : انا الأيام والليالي أجددها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك » . ومعنى ذلك أن الله تعالى هو الآتي بالحوادث فاذا سببتم الدهر على انه فاعل وقع السب على الله عز وجل . « وما لهم بذلك من علم » أي ليس لهم بما ذكر من قصر الحياة على ما في الدنيا ونسبة الاهلاك الى الدهر علم مستند الى عقل أو نقل « ان هم الا يظنون » أي ماهم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم ما يصح أن يتمسك به في الجملة . وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ما يتعلق بالدهريين ، والمقصود أن من يقول باسناد الحوادث الى غير الله تعالى كالدهر فذلك ليس له مستند عقلي ولا نقلي ، بل هو محض جهل وقائله جاهل في أي عصر كان . ولأهل زماننا حظ وافر من

هذا الاعتقاد الباطل . والله المستعان

﴿ اضافة نعم الله الى غيره ﴾

﴿ السابعة والثلاثون ﴾ : اضافة نعم الله الى غيره . قال الله تعالى في سورة النحل « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » وقد عدد الله تعالى نعمه على عباده في هذه السورة الى أن قال « وجعل لكم من الجبال أكناناً ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يُتم نعمته عليكم لعلّكم تُسلمون . فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين . يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » فقوله « يعرفون نعمة الله » الخ استئنافٌ لبيان ان تولى المشركين وإعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم نعمة الله سبحانه وتعالى أصلا فانهم يعرفونها أنها من الله تعالى ثم ينكرونها بأفعالهم حيث لم يفردوا مُنعمها بالعبادة فكأنهم لم يعبدوه سبحانه وتعالى أصلاً، وذلك كفران منزّل منزلة الانكار . وأخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد انه قال : انكارهم اياها قولهم : ورثناها من آبائنا . وأخرج هو وغيره أيضاً عن عون ابن عبد الله أنه قال : انكارهم اياها أن يقول الرجل: لولا فلان أصابني كذا وكذا، ولولا فلان لم أُصب كذا وكذا . وفي لفظ : انكارها اضافتها الى الاسباب . وبعضهم يقول : انكارهم قولهم هي بشفاعة آلهتهم عند الله تعالى . ومنهم من قال : النعمة هنا محمد

ﷺ أي يعرفون انه عليه الصلاة والسلام نبيّ بالمعجزات ثم ينكرون ذلك ويجحدونه عناداً « وأكثرهم الكافرون » أي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر . والتعبير بالأكثر إما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان عقله وعدم اهتدائه اليه، أو لعدم نظره في الأدلة نظراً يؤدي الى المطلوب، أو لانه لم تقم عليه الحجة لكونه لم يصل الى حد المكلفين لصغره ونحوه، واما لأنه يقام مقام الكل فاسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل

ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى في سورة الواقعة « أفبهذا الحديث أنتم مُدهنون . وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون » أي تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا . روى مسلم وغيره عن ابن عباس قال : مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر . قالوا : هذه رحمة وضعها الله . وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآية « فلا أقسم بمواقع النجوم » حتى بلغ « وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون » الى غير ذلك من الآثار . والمقصود أن اسناد النعم الى غير مُنعِمها الحقيقي كفران لها. وقد ذكرنا مذهب العرب في الانواء في غير هذا الموضع وفصلناه تفصيلا ، وذكرنا شعرهم الدال على مذهبهم هذا . والله الموفق

﴿ الكفر بآيات الله ﴾

﴿ الثامنة الثلاثون ﴾ : الكفر بآيات الله . والنصوص الدالة على ذلك في القرآن كثيرة منها قوله تعالى في الكهف « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا. ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا » بعد قوله سبحانه « هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا. أولئك » الخ فقوله أولئك كلام مستأنف منه مسوق لتكميل تعريف الأخسرين وتبيين خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين. أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي والحسبان المذكور « الذين كفروا بآيات ربهم » بدلائله سبحانه الداعية الى التوحيد الشاملة للسمعية والعقلية « ولقائه » هو كناية عن البعث والحشر وما يتبع ذلك من أمور الآخرة ، أي لم يؤمنوا بذلك على ما هو عليه « فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » أي فنزدري بهم ونحتقرهم

ومن النصوص ما يدل على أن منهم من كان ينكر بعض الآيات ، ومنهم من كان معرضاً عنها وهاجراً لها . ولا يخفى عليك

أن من الناس اليوم من هو أدهى وأمر مما كان عليه أهل الجاهلية في هذا الباب

﴿ اختيار كتب الباطل ونبذ آيات الله ﴾

﴿ التاسعة والثلاثون ﴾ : اشتراء كتب الباطل واختيارها عليها ، أي على الآيات . قال تعالى « ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون . أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ، ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ـ الى قوله ـ ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئسما شروا به أنفسهم لو كانو يعلمون . ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون » ومعنى قوله « ولقد علموا لمن اشتراه » أي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله « ماله في الآخرة من خلاق » أي نصيب « ولبئسما شروا به أنفسهم » أي والله لبئس شيئاً شروا به حظوظ أنفسهم أي باعوها أو شروها في زعمهم ذلك الشراء . ولو انهم آمنوا أي بالرسول أو بما أنزل اليه من الآيات أو بالتوراة « واتقوا » أي المعاصي التي حكيت عنهم « لمثوبة من عند الله خير لو كانوا

يعلمون » أي أن ثواب الله تعالى خير لهم. وبمعنى هذه الآية قوله
تعالى « ومنهم أميّون لايعلمون الكتاب إلاّ أماني وان هم
الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا
من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل
لهم مما يكسبون » وهذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين خافوا
أن تذهب رياستهم بابقاء صفة النبي ﷺ على حالها فغيروها

﴿القدح في حكمة الله تعالى﴾

﴿ الأربعون ﴾ : القدح في حكمته تعالى . أقول : من خصال
الجاهلية القدح في حكمته تعالى وانه ليس بحكيم في خلقه بمعنى انه
سبحانه يخلق مالا حكمة له فيه، ويأمر وينهى بما لا حكمة فيه،
وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله في سورة ص « وما خلقنا السماوات
والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين
كفروا من عذاب النار » وقال سبحانه في سورة المؤمنين
« أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك
الحق » وفي سورة الدخان « وما خلقنا السماوات والأرض
وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون »
وفي سورة الانبياء « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين
لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين » وفي

سورة الحجر « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل » الى غير ذلك من الآيات الناصة على أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من غير حكمة ولا علة على خلاف ما يعتقده أهل الباطل من الجاهليين ومن نحا نحوهم من هذه الأمة ممن نفى الحكمة عن أفعاله سبحانه وتعالى . وهذه مسألة طويلة الذيل قد كثر فيها الخصام بين فرق المسلمين ، والحق ما كان عليه السلف من اثبات الحكمة والتعليل . وقد أطنب الكلام عليها الحافظ ابن القيم في كتابه (شفاء العليل) في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، وعقد باباً مفصلا في طرق اثبات حكمة الرب تعالى فى خلقه وأمره واثبات الغايات المطلوبة والعواقب الحميدة التي فعل وأمر لأجلها . ومن جملة ما قال فى هذا الباب : انه سبحانه وتعالى أنكر على من زعم انه لم يخلق الخلق لغاية ولا لحكمة كقوله « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً » وقوله « أيحسبُ الانسان أن يترك سدى » وقوله « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق » والحق هو الحكم والغايات المحمودة التي لأجلها خلق ذلك كله ، وهو أنواع كثيرة : منها أن يعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وآياته . ومنها أن يحب ويعبد ويشكر ويذكر ويطاع . ومنها أن يأمر وينهي ويشرع الشرائع . ومنها أن يدبر الأمر ويبرم القضاء ويتصرف فى المملكة بأنواع التصرفات .

ومنها أن يثيب ويعاقب فيجازى المحسن باحسانه والمسيء باساءته فيكون أثر عدله وفضله موجوداً مشاهداً فيحمد على ذلك ويشكر. ومنها أن يعلم خلقه انه لا إله غيره ولا ربّ سواه. ومنها أن يصدّق الصادق فيكرمه ويكذب الكاذب فيهينه. ومنها ظهور آثار أسمائه وصفاته على تنوعها وكثرتها فى الوجود الذهني والخارجي فيعلم عباده ذلك علماً مطابقاً لما فى الواقع. ومنها شهادة مخلوقاته كلها بأنه وحده ربها وفاطرها ومليكها وانه وحده آلهها ومعبودها. ومنها ظهور أثر كماله المقدس فان الخلق والصنع لازم كماله فانه حي قدير ومن كان كذلك لم يكن إلا فاعلا مختاراً. ومنها أن يظهر أثر حكمته في المخلوقات بوضع كل منها فى موضعه الذي يليق به ومجيئه على على الوجه الذي تشهد العقول والفطر بحسنه فتشهد حكمته الباهرة. ومنها انه سبحانه يحب أن يجود وينعم ويعفو ويغفر ويسامح ولا بد من لوازم ذلك خلقاً وشرعا. ومنها انه يحب أن يثنى عليه ويمدح ويمجد ويسبح ويعظم. ومنها كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته والهيته. الى غير ذلك من الحكم التي تضمنها الخلق. فخلق مخلوقاته بسبب الحق ولأجل الحق وخلقها ملتبس بالحق وهو فى نفسه حق فمصدره حق وغايته حق وهو يتضمن الحق وقد أثنى على عباده المؤمنين حيث نزهوه عن ايجاد الخلق لا لشي. ولا لغاية فقال تعالى « ان فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار

لآياتٍ لأُولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والارض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك » وأخبر أن هذا ظن أعدائه لا ظن أولیائه فقال «وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا » . وكيف يتوهم أنه عرفه من يقول انه لم يخلق لحكمة مطلوبة له ولا أمر لحكمة ولا نهى لحكمة وانما يصدر الخلق والأمر عن مشيئة وقدرة محضة لا لحكمة ولا لغاية مقصودة وهل هذا الانكار لحقيقة حمده بل الخلق والأمر انما قام بالحكم والغايات فهما مظهران لحمده وحكمته فانكار الحكمة انكار لحقيقة خلقه وأمره فان الذي أثبته المنكرون من ذلك ينزه عنه الربّ ويتعالى عن نسبته اليه فانهم أثبتوا خلقاً وأمراً لا رحمة فيه ولا مصلحة ولا حكمة ، بل يجوز عندهم أو يقع أن يأمر بما لا مصلحة للمكلف فيه البتة وينهى عما فيه مصلحة والجميع بالنسبة اليه سواء ويجوز عندهم أن يأمر بكل ما نهى عنه وينهى عن جميع ما أمر به ولا فرق بين هذا وهذا الا بمجرد الامر والنهي . ويجوز عندهم أن يعذب من لم يعصه طرفة عين ويثيب من عصاه بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والفجور فلا سبيل الى أن يعرف خلاف ذلك منه

الا بخبر الرسول والا فهو جائز عليه . وهذا من أقبح الظن وأسوئه بالرب سبحانه وتنزيهه عنه كتنزيهه عن الظلم والجور بل هذا هو عين الظلم الذي يتعالى الله عنه . والعجب العجاب ان كثيراً من أرباب هذا المذهب ينزهونه عما وصف به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال ويزعمون ان اثباتها تجسيم وتشبيه ، ولا ينزهونه عن هذا الظلم والجور ويزعمون أنه عدل وحق ، وأن التوحيد عندهم لا يتم الا به كما لا يتم الا بانكار استوائه على عرشه وعلوه فوق سماواته وتكلمه وتكليمه وصفات كماله فلا يتم التوحيد عند هذه الطائفة الا بهذا النفي وذلك الاثبات والله ولي التوفيق . انتهى المقصود من نقله وتمام الكلام في هذا الباب من ذلك الكتاب واليه سبحانه المآب

﴿ الكفر بالملائكة والرسل والتفريق بينهم ﴾

﴿ الحادية والاربعون ﴾ : الكفر بالملائكة والرسل والتفريق بينهم . قال تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما

يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا أنؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين — الى ان قال — قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدًى وبشرى للمؤمنين من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ولقد أنزلنا اليكم آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون » فقد تبين من هذه الآيات ان بعض الكتابيين كانوا يكفرون بالملائكة والرسل ويفرقون بينهم أي يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وهم طائفة من جاهلية اليهود ولهذا أمرنا الله تعالى بالايمان بهم وعدم التفرقة بينهم فقال « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

﴿ الغلوّ في الانبياء والرسل ﴾

﴿ الثانية والاربعون ﴾ : الغلوّ في الانبياء والرسل عليهم السلام . قال تعالى في سورة النساء « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه أنى يكون له ولد » والغلو في المخلوق أعظم سبب لعبادة الاصنام والصالحين كما كان في قوم نوح من عبادة نسر وسُواع ويغوث ونحوهم وكما كان من عبادة النصارى للمسيح عليه السلام ومثل ذلك القول على الله بغير الحق

﴿ الجدال بغير علم ﴾

﴿ الثالثة والاربعون ﴾ : الجدال بغير العلم كما ترى كثيراً من أهل الجهل يجادلون أهل العلم عند نهيهم عما ألفوه من البدع والضلالات . وهي صفة جاهلية نهانا الله تعالى عن التخلق بها قال تعالى في سورة آل عمران « يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله

يعلم وأنتم لا تعلمون » أخرج ابن اسحق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده فقالت الاحبار : ما كان ابراهيم الا يهودياً وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانياً فانزل الله فيهم هذه الآية المنادية على جهلهم وعنادهم كما لا يخفى على من راجع التفسير

﴿ الكلام في الدين بلا علم ﴾

قال الشيخ ﴿ الرابعة والاربعون ﴾ : الكلام في الدين بلا علم . أقول أجمل الشيخ رحمه الله تعالى الكلام في هذه المسألة كل الاجمال كما فعل مثل ذلك في كثير من المسائل وما أحقها بالتفصيل وذلك أن أهل الجاهلية من العرب وغيرهم من الكتابيين شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله أما العرب فقد كان الكثير منهم على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الى أن ظهر فيهم الخزاعي [١] فغيّر وبدل وابتدع بدعاً كثيرة وأغرى العرب على عبادة الأصنام وبحر البحيرة وحمى الحام واستقسم بالازلام الى غير ذلك مما فصلناه في غير هذا الموضع وان شئت أن تعرف جهل العرب

---

(١) هو عمرو بن لحي وكان الحجازيون يتخذونه رباً في امتثال امره وطاعته والانتهاء عما ينهى عنه

وما ابتدعوه فاقرأ سورة الانعام فان فيها كثيراً من ضلالاتهم ومبتدعاتهم . وأما الجاهليون من اليهود والنصارى فقد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وذلك ان احبارهم ورهبانهم ابتدعوا لهم في الدين بدعاً وحلّلوا وحرموا ما اشتهته أنفسهم فتبلوا ذلك منهم وأطاعوهم عليه مع أن الدين انما يكون بتشريع الله ووحيه الى أنبيائه ورسله عليهم السلام ولا يكون بآراء الرجال وبحسب أهوائهم فكل ما لا دليل عليه من كتاب ولا سنة مردود على صاحبه . وقد ذم الله تعالى اليهود على مثل ذلك فقال عز اسمه في سورة آل عمران « وان منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » فمن أولَ نصوص الكتاب والسنة على حسب شهواته وبمقتضى هواه فهو أيضاً من قبيل الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب وأنت تعلم ما اشتمل عليه اليوم كثير من كتب الشريعة من الآراء التى ليس لها مستند من دلائل الشريعة . فالى الله المشتكى من صولة الباطل وخمول الحق

﴿ الكفر باليوم الآخر ﴾

﴿ الخامسة والأربعون ﴾ : الكفر باليوم الآخر والتكذيب بلقاء الله وبعث الأرواح وببعض ما ذكرته الرسل من صفات الجنة والنار قال تعالى في سورة الكهف « قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه » الآية . وقد مر الكلام عليها قريباً . وقال تعالى في سورة النحل « وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون لنبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كذبين » الى غير ذلك من النصوص الواردة في ذلك كله . ولقوم عصرنا من هذا الاعتقاد الجاهلي حظ وافر ونصيب كامل ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون . نسأله تعالى التوفيق للهداية

﴿ التكذيب بآية مالك يوم الدين ﴾

﴿ السادسة والأربعون ﴾ : التكذيب بقوله تعالى « مالك يوم الدين » وهو اليوم الذي يدين الله تعالى العباد فيه بأعمالهم فيثيبهم على الخيرات ويعاقبهم على المعاصي والسيئات والتكذيب

بهذا اليوم متفرع على انكار البعث والحساب والجنة والنار

﴿ التكذيب بآية لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾

﴿ السابعة والأربعون ﴾ : التكذيب بقوله تعالى « لا بيع فيه ولا خُلة ولا شفاعة » من قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون » . والخلة المودة والصداقة ومعنى ولا شفاعة أي لا أحد يشفع لأحد إلا من بعد ان يأذن الرحمن لمن يشاء ويرضى وأراد بذلك يوم القيامة والمراد من وصفه بما ذكر الاشارة الى أنه لا قدرة لأحد فيه على تحصيل ما ينتفع به بوجه من الوجوه لأن من في ذمته حق مثلا إما ان يأخذ بالبيع ما يؤديه به وإما ان يعينه أصدقائه وإما ان يلتجىء الى من يشفع له في حطه والكل منتف . ولا مستعان إلا بالله عز وجل

﴿ الخطأ فى فهم معنى الشفاعة ﴾

﴿ الثامنة والأربعون ﴾ : التكذيب بقوله تعالى في سورة الزخرف « ولا يملك الذين تدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون » . قوله ولا يملك الذين تدعون أي ولا يملك

آلهتهم الذين يدعونهم من دونه الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله عز وجل إلا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون أي يعلمونه والمراد بهم الملائكة وعيسى وعزير واضرابهم وأنت ترى الناس اليوم عاكفين على أصنام لهم يدعونهم من دون الله وعذرهم عند توبيخهم ان هؤلاء شفعاؤهم . تعالى الله عما يشركون

﴿ قتل أولياء الله ﴾

﴿ التاسعة والأربعون ﴾ : قتل أولياء الله وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس قال تعالى في سورة البقرة « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » وقال في سورة آل عمران « قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين » الى آيات أخر في هذا المعنى صرحت بما لاقاه الأنبياء والرسل عليهم السلام وأتباعهم المخلصون ودعاة الحق (١) وبما كابدوه من أعداء الله والجهلة

(١) من ذلك ان الشيخ المصنف لاقى من ابناء زمانه كبيرهم وصغيرهم لما دعاهم الى الله تعالى والتوحيد الذي جاءت به الرسل ماتنهد له الصياصي وتشيب له النواصي مما لايخفى على من طالع سيرته المقدسة تغمده الله برحمته . ورضوانه

الطغاة مما تنهد له الصياصي وتبيض منه النواصي

هؤلاء أكابر الأمة المحمدية وعلماؤها الأعلام قد صادفوا عند دعوتهم الى الحق والمحافظة عليه ما يسود منه وجه القرطاس وتشيب منه لمم المداد والأنبياء صلوات الله عليهم وأتباعهم المؤمنون وان كانوا يبتلون في أول الأمر فالعاقبة لهم كما قال تعالى لما قص قصة نوح « تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين » وفي الحديث المتفق على صحته لما أرسل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رسولا الى ملك الروم فطلب من يخبره بسيرته وكان المشركون حينئذ أعداءه لم يكونوا آمنوا به فقال كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قالوا : الحرب بيننا وبينه سجال يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى فقال كذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة فانه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين ثم يوم أحد ابتلى المؤمنون ثم لم ينصر الكفار بعدها حتى أظهر الله تعالى الاسلام . فان قيل ففي الأنبياء من قد قتل كما أخبر الله تعالى في الآيات السابقة أن بني اسرائيل يقتلون النبيين بغير الحق وفي أهل الفجور من يؤتيه الله ملكا وسلطانا ويسلطه على المتدينين كما سلط بخت نصر

على بني اسرائيل وكما سلط كفار المشركين وأهل الكتاب أحياناً على المسلمين . قيل أما من قتل من الأنبياء فهم كمن يقتل من المؤمنين في الجهاد شهيداً قال تعالى « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيد في القتال كان حاله أكمل من حال من يموت حتف أنفه قال تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ولهذا قال تعالى « قل هل تربصون بنا إلا احدى الحسنيين » أي إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة ثم ان الدين الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر فيكون لطائفته السعادة في الدنيا والآخرة من قتل منهم كان شهيداً ومن عاش منهم كان منصوراً سعيداً وهذا غاية ما يكون من النصر اذ كان الموت لابد منه فالموت على الوجه الذي يحصل به سعادة الدنيا والآخرة أكمل بخلاف من يهلك هو وطائفته فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم

وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم اختاروا هذا الموت إما أنهم قصدوا الشهادة وإما أنهم قصدوا ما به يصيرون شهداء عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة وفي الدنيا بانتصار طائفتهم وببقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء ، بخلاف من هلك من الكفار فانهم هلكوا بغير اختيارهم دلا كا لا يرجون معه سعادة الآخرة ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا بل اتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين وقيل فيهم « كم تركوا من جنات وعيون وزرع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » وقد أخبر سبحانه أن كثيراً من الأنبياء قتل معه ربيون كثير أي ألوف كثيرة وأنهم ماضعفوا ولا استكانوا لذلك بل استغفروا من ذنوبهم التى كانت سبب ظهور العدو وأن الله تعالى آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة . فاذا كان هذا قتل المؤمنين فما الظن بقتل الأنبياء ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ماهو من أعظم الفلاح . وظهور الكفار على المؤمنين أحياناً هو بسبب ذنوب المسلمين كيوم أحد فان تابوا انتصروا على الكفار وكانت العاقبة لهم كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع

الكفار وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قاموا بعهوده ووصاياه نصرهم الله وأظهرهم على المخالفين له فاذا ضيعوا عهوده ظهر أولئك عليهم فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي صلي الله تعالى عليه وسلم وجوداً وعدماً من غير سبب يزاحم ذلك ودوران الحكم مع الوصف وجوداً وعدماً من غير مزاحمة وصف آخر يوجب العلم بأن المدار علة للدائر وقولنا من غير وصف آخر يزيل النقوض الواردة فهذا الاستقراء والتتبع يبين أن نصر الله واظهاره هو بسبب اتباع النبي وأنه سبحانه يريد اعلاء كلمته ونصره ونصر أتباعه على من خالفه وان يجعل لهم السعادة ولمن خالفهم الشقاء وهذا يوجب العلم بنبوته وأن من اتبعه كان سعيداً ومن خالفه كان شقياً . ومن هذا ظهور بخت نصر على بني اسرائيل فانه من دلائل نبوة موسى اذ كان ظهور بخت نصر انما كان لما غيروا عهود موسى وتركوا اتباعه فعوقبوا بذلك وكانوا اذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما قل تعالى « وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فلما جاء وعد أولاهما بعثنا عليهم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم

أكثر نفيراً ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا» فكان ظهور بني اسرائيل على عدوهم تارة وظهور عدوهم عليهم تارة من دلائل نبوة موسى صلى الله عليه وسلم وآياته. وكذلك ظهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم على عدوهم تارة وظهور عدوهم عليهم تارة هو من دلائل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم في حياته وبعد موته كما جرى لهم من يوشع وغيره من دلائل نبوة موسى وكذلك انتصار المؤمنين مع محمد صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته مع خلفائه من أعلام نبوته ودلائلها وهذا بخلاف الكفار الذين ينتصرون على أهل الكتاب أحياناً فان أولئك لا يقولوا[1] مطاعهم الى نبي ولا يقاتلون أتباع الانبياء على دين ولا يطلبون من أولئك أن يتبعوهم على دينهم بل قد يصرحون بانا انما نصرنا عليكم بذنوبكم وان لو اتبعتم دينكم لم ننصر عليكم وأيضاً فلا عاقبة لهم بل الله يهلك الظالم بالظالم ثم يهلك الظالمين جميعاً ولا قتيلهم يطلب بقتله سعادة بعد الموت ولا يختارون القتل ليسعدوا بعد الموت. فهذا وأمثاله مما يظهر الفرق بين انتصار الانبياء وأتباعهم

---

(١) لعله لايكون

وبين ظهور بعض الكفار على المؤمنين أو ظهور بعضهم على بعض وبين أن ظهور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته على أهل الكتاب اليهود والنصارى هو من جنس ظهورهم على المشركين عباد الأوثان وذلك من اعلام نبوته ودلائل رسالته ليس هو كظهور بخت نصر على بني اسرائيل وظهور الكفار على المسلمين . وهذه الآية مما أخبر به موسى وبين أن الكذاب المدعى للنبوة لا يتم أمره وانما يتم أمر الصادق فان من أهل الكتاب من يقول محمد وأمته سلطوا علينا بذنوبنا مع صحة ديننا الذي نحن عليه كما سلط بخت نصر وغيره من الملوك وهذا قياس فاسد فان بخت نصر لم يدّع نبوة ولا قاتل على دين ولا طلب من بني اسرائيل ان ينتقلوا عن شريعة موسى الى شريعته فلم يكن في ظهوره اتمام لما ادعاه من النبوة ودعا اليه من الدين بل كان بمنزلة المحاربين قطاع الطريق اذا ظهروا على القوافل بخلاف من ادعى نبوة ودينا دعا اليه ووعد أهله بسعادة الدنيا والآخرة وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والآخرة ثم نصره الله وأظهره وأتم دينه وأعلى كلمته وجعل له العاقبة وأذل مخالفيه فان هذا من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة فانه دليل عليها وذاك من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة فانه ليس دليلا عليها

وقد يغرق في البحر أمم كثيرة فلا يكون ذلك دليلا على نبوة نبي بخلاف غرق فرعون وقومه فانه كان آية بينة لموسى وهذا موافق لما أخبر به موسى عليه الصلاة والسلام من أن الكذاب لا يتم أمره وذلك بأن الله حكيم لا يليق به تأييد الكذاب على كذبه من غير ان يبين كذبه. ولهذا أعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب لما اقترن بدعواه الالوهية بعض الخوارق كان معها ما يدل على كذبه من وجوه. منها دعواه الالوهية وهو أعور والله ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ والله تعالى لا يراه أحد حتى يموت. وقد ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة فان تأييد الكذاب ونصره واظهار دعوته دائما فهذا لم يقع قط فمن يستدل على ما يفعله الرب سبحانه بالعادة والسنة فهذا هو الواقع على ذلك أيضاً بالحكمة فحكمته تناقض ان يفعل ذلك اذ الحكيم لا يفعل هذا وقد قال تعالى « ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيرا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » فأخبر أن سنة الله التى لا تبديل لها نصر المؤمنين على الكافرين والايمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله. فاذا نقص الايمان بالمعاصي كان الأمر بحسبه

كما جرى يوم أحد . وقال تعالى « وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءكم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفوراً استكباراً في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » فأخبر أن الكفار لاينظرون إلا سنة الأولين ولا يوجد لسنة الله تبديل لا تبدل بغيرها ولا تتحول فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم وكذلك قال في المنافقين وهم الكفار في الباطن دون الظاهر من فيه شعبة نفاق «لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » والسنة هي العادة فهذه عادة الله المعلومة فاذا نصر من ادعى النبوة واتباعه على من خالفه إما ظاهراً وإما باطناً نصراً مستقراً فان ذلك دليل على أنه نبي صادق اذ كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات وهذه منها ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين قال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال

أوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله »
وقال تعالى « فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ
جاءه » وقال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب
بالحق لما جاءه » وقال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً
ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين » ومن كان
كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي
هريرة قال ان الله يملي للظالم فاذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ « وكذلك
أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد » وقال
أيضاً في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تقيمها تارة
وتميلها أخرى ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تزال ثابتة على
أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة . فالكاذب الفاجر وان
عظمت دولته فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء
له في العالم وهو يظهر سريعاً ويزول سريعاً كدولة الأسود
العنسي ومسيلمة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم .
وأما الأنبياء فانهم يبتلون كثيراً ليمحَّصوا بالبلاء فان الله تعالى
انما يمكن العبد اذا ابتلاه ويظهر أمره شيئاً فشيئاً كالزرع قال

تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه (أي فراخه) فآزره (أي قواه) فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما » . ولهذا كان أول من اتبعهم ضعفاء الناس باعتبار هذه الأمور وسنة الله في أنبياء الله وأوليائه الصادقين وفي أعداء الله والمتنبئين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبي الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع كقوله تعالى « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين » وقال تعالى « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا أن نصر الله قريب » وقال تعالى « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير

للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنُجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديقَ الذي بين يديه وتفصيلَ كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » والمقصود أن ايذاء القائمين بالحق والناصرين له من سنن أهل الجاهلية، وكثير من أهل عصرنا على ذلك والله المستعان

﴿ الايمان بالجبت والطاغوت ﴾

(الخمسون) : الايمان بالجبت والطاغوت وتفضيل المشركين على المسلمين قال تعالى في سورة النساء « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » هذه الآية نزلت في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من يهود وذلك أنهم خرجوا الى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة أنتم

أهل كتاب ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب كتاب فلا يؤمن هذا ان يكون مكراً منكم فان أردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ثم قال كعب يا أهل مكة ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فاينا أهدى طريقاً وأقرب الى الحق، نحن أم محمد؟ قال كعب اعرضوا عليَّ دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم اللبن ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وديننا القديم ودين محمد الحديث. فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد فأنزل الله في ذلك الآية والجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل معبود غير الله والطاغوت يطلق على كل باطل من معبود أو غيره. ومعنى الايمان بهما إما التصديق بأنهما آلهة واشراكهما بالعبادة مع الله تعالى. وإما طاعتهما وموافقتهما على ما هما عليه من الباطل. وأما القدر المشترك بين المعنيين كالتعظيم مثلا والمتبادر المعنى الاول أي انهم يصدقون بالوهية هذين الباطلين ويشركونهما في العبادة مع الاله الحق

ويسجدون لهما .

﴿ لبس الحق بالباطل ﴾

(الحادية والخمسون) : لبس الحق بالباطل وكتمانه قال تعالى في سورة آل عمران « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » . وفي المراد أقوال : أحدها ان المراد تحريفهم التوراة والانجيل . ثانيها ان المراد اظهارهم الاسلام وابطانهم النفاق . ثالثها ان المراد الايمان بموسى وعيسى والكفر بمحمد عليهم السلام . رابعها ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من حقيقة رسالته صلى الله عليه وسلم وما يظهرونه من تكذيبه

﴿ الاقرار بالحق للتوصل الى دفعه ﴾

(الثانية والخمسون) : التعصب للمذهب والاقرار بالحق للتوصل الى دفعه . قال تعالى في سورة آل عمران « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم به عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » قال الحسن والسعدي : تواطأ اثنا عشر رجلا من أحبار يهود خيبر وقرى عرين وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد وا كفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذاك وظهر لنا كذبه و بطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم وقالوا انهم أهل كتاب وهم أعلم به فيرجعون عن دينهم الى دينكم

﴿اتخاذ النبيين أربابا﴾

﴿ الثالثة والخمسون ﴾ : تسميتهم اتباع الاسلام شركاء قال تعالى « ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » أخرج ابن اسحاق بسنده حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أتريد يامحمد ان نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني

يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : معاذ الله ان يعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني . فأنزل الله تعالى الآية

﴿ تحريف الكلم عن مواضعه ﴾

﴿ الرابعة والخمسون ﴾ : تحريف الكلم عن مواضعه ولَيّ الألسنة بالكتاب . قال تعالى في سورة آل عمران « وانّ منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » روى أن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك أنهم حرفوا التوراة والانجيل وألحقوا بكتاب الله تعالى ما ليس منه . واختلف الناس في أن المحرف هل كان يكتب في التوراة أم لا ؟ فذهب جمع الى أنه ليس في التوراة سوى كلام الله تعالى وان تحريف اليهود لم يكن إلا تغييراً وقت القراءة وتأويلا باطلا للنصوص . وأما أنهم يكتبون ما يرومون في التوراة على تعدد نسخها فلا . واحتجوا لذلك بما روى أن التوراة والانجيل كما أنزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند

أنفسهم ويقولون ان ذلك من عند الله وما هو من عند الله . فأما كتب الله تعالى فانها محفوظة لا تحول وبأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول لليهود الزاماً لهم أتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وهم يمتنعون عن ذلك فلو كانت مغيرة الى ما يوافق مرامهم ما امتنعوا بل وما كان يقول لهم ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه يعود على مطلبه الشريف بالابطال . وذهب آخرون الى أنهم بدلوا وكتبوا ذلك في نفس كتابهم واحتجوا على ذلك بكثير من الظواهر ولا يمنع من ذلك تعدد النسخ لاحتمال التواطؤ أو فعل ذلك في البعض دون البعض وكذا لا يمنع منه قول الرسول لهم ذلك لاحتمال علمه ببقاء بعض ما يفي بغرضه سالماً عن التغيير . إما لجهلهم بوجه دلالته أو لصرف الله تعالى إياهم عن تغييره وتمام الكلام في تفسير الجد عند الكلام على هذه الآية وكذا في الجواب الصحيح لشيخ الاسلام . وكثير من الأمة المحمدية سلكوا مسالك الكتابيين في التحريف والتأويل واتباع شهواتهم وقال تعالى في سورة النساء « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله

بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا » والكلام على هذه الآية أيضاً مستوفى في التفسير

« تلقيب أهل الهدى بألقاب غريبة »

(الخامسة والخمسون) : تلقيب أهل الهدى بالصابئة والحشوية فقد كان أهل الجاهلية يلقبون من خرج عن دينهم بالصابىء كما كانوا يسمون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك كما ورد في عدة أحاديث من صحيح البخاري ومسلم وغيرهما تنفيراً للناس عن اتباع غير سبيلهم وهكذا تجد كثيراً من هذه الأمة يطلقون على من خالفهم في بدعهم وأهوائهم أسماء مكروهة للناس . والصابئة أمة قديمة على مذاهب مختلفة قد تكلم عليها أهل المقالات بما لا مزيد عليه . وأما الحشوية فهم قوم كانوا يقولون بجواز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة كالحروف في أوائل السور كذا قال بعضهم وهم الذين قال فيهم الحسن البصري لما وجد قولهم ساقطا وكانوا يجلسون في حلقته أمامه ردّوا هؤلاء الى حشا الحلقة أي جانبها . وخصوم السلفيين يرمونهم بهذا الاسم تنفيراً للناس عن اتباعهم والأخذ بأقوالهم حيث يقولون في المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله وقد أخطأت أستهم الحفرة فالسلف

لا يقولون بورود ما لا معنى له لا في الكتاب ولا في السنة بل يقولون في الاستواء مثلا: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والاقرار به ايمان والجحود به كفر وقد أطال الكلام في هذه المسئلة شيخ الاسلام ابن تيمية في كثير من كتبه ونص ذلك في كتابه جواب أهل الايمان في التفاضل بين آيات القرآن . ومن الناس من فرق بين مذهب السلف ومذهب الحشوية، أن مذهب الحشوية ورود ما يتعذر التوصل الى معناه المراد مطلقاً فالاستواء مثلا عندهم له معنى يتوصل اليه بمجرد سماعه كل من يعرف الموضوعات اللغوية إلا أنه غير مراد لأنه خلاف ما يقتضيه دليل العقل والنقل ومعنى آخر يليق به تعالى لا يعلمه إلا هو عزّ وجلّ وكيف يكون مذهب السلف هو مذهب الحشوية وقد رأى الحسن البصري الذي هو من أكابر السلف سقوط قول الحشوية ولم يرض ان يقعد قائله تجاهه . والمقصود أن أهل الباطل من المبتدعة رموا أهل السنة والحديث بمثل هذا اللقب الخبيث . قال أبو محمد عبد الله بن قتيبة في تأويل مختلف الاحاديث ان أصحاب البدع سموا أهل الحديث بالحشوية والنابتة والمتجبرة والجبرية وسموهم الغثاء وهذه كلها انباز لم يأت بها خبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أتى في القدرية أنهم مجوس هذه الامة فان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا

فلا تشهدوا جنائزهم . وفي الرافضة يكون قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام ويلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون . وفي المرجئة صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي لعنوا على لسان سبعين نبياً المرجئة والقدرية . وفي الخوارج يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وكلاب أهل النار . هذه أسماء من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتلك أسماء مصنوعة انتهى . وفي الغنية أن الباطنية تسمي أهل الحديث حشوية لقولهم بالاخبار وتعلقهم بالآثار انتهى . وفي كتاب حجة الله البالغة واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث وسموهم مجسمة ومشبهة وقالوا هم المتسترون بالبلكفة [١] وقد وضح لدي وضوحاً بيناً أن استطالتهم هذه ليست بشيء وأنهم مخطئون في روايتهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى انتهى . وقد قال العلامة ابن القيم في كافيته الشافية : فصل في تلقيبهم أهل السنة بالحشوية ويقال من أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب من الطائفتين وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدع :

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشواً في الوجود ... وفضلة في أمة الانسان
ويظن جاهلهم بانهم حشوا ... ربّ العباد بداخل الاكوان

(١) من كلمة (بلا كيف)

إذ قولهم فوق العباد وفي السما ء الرب ذو الملكوت والسلطان
ظن الحمير بأن «في» للظرف والـ رحمن محويٌّ بظرف مكان
والله لم يسمع بذا من فرقة قالته في زمن من الأزمان
لا تبهتوا أهل الحديث به فما ذا قولهم تباً لذي البهتان
بل قولهم ان السموات العلى في كف خالق هذه الأكوان
حقاً كخردلة ترى في كف مم سكها تعالى الله ذو السلطان
أترونه المحصور بعد أم السما ياقومنا ارتدعوا عن العدوان
كم ذا مشبهة وذا حشوية صرف بلا جحد ولا كتمان
تدرون من سمت شيوخكم بهذا الاسم في الماضي من الأزمان
سمى به عمرو لعبد الله ذا ك ابن الخليفة طارد الشيطان
فورثتم عمرواً كما ورثوا لعبد الله أنى يستوى الارثان
تدرون من أولى بهذا الاسم وهو مناسب أحواله بوزان
من قد حشى الاوراق والاذهان من بدع تخالف مقتضى القرآن
هذا هو الحشوى لا أهل الحديث أئمة الاسلام والايمان
وردوا عذاب مناهل السنن التي ليست زبالة هذه الأذهان
ووردتم القلوط مجرى كل ذي الـ أوساخ والأقذار والأنتان
وكسلتم ان تصعدوا للورد من أثر الشرايع خيبة الكسلان

وحاصل هذه الابيات أن أعداء الحق وخصوم السنة وأضدادا

الكتاب والسنة يلقبون سلف الامة المتمسكين بالكتاب والسنة بلقب الحشوية ، فالخواص منهم يقصدون بهذا الاسم أن المسمى به حشو في الوجود وفضلة في الناس لا يعبأ بهم ولا يقام لهم وزن إذ لم يتبعوا آراءهم الكاسدة وأفكارهم الفاسدة وأما العوام منهم فيظنون أن تسمية السلف بالحشوية لقولهم بالفوقية وكون الاله في السماء بمعنى أنهم اعتقدوا وحاشاهم ان الله تعالى حشو هذا الوجود وأنه داخل الكون تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهذا بهتان عظيم على أهل الحديث على أن هذا القول لم يقبل به أحد . وأعداء الحق في عصرنا هذا على هذا المسلك الجاهلي فتراهم يرمون كل من تمسك بالكتاب والسنة بكل لقب مذموم بين المسلمين والله المستعان على ما تصفون

﴿ التكذيب بالحق ﴾

﴿ السادسة والخمسون ﴾ : افتراء الكذب على الله والتكذيب بالحق . وشواهد هذه المسئلة من الكتاب والسنة كثير وهذا دأب المخالفين للدين المبين كاليهود والنصارى ، يدَّعون أن ما هم عليه هو الحق وأن الله أمرهم بالتمسك به وأن الدين المبين ليس بحق وأن الله تعالى أمرنا بتكذيبه كل ذلك لاتباع أسلافهم لا ينظرون الى الدليل وهكذا أهل البدع والضلالات يعتقدون بدعهم الحق

وأن الله أمرهم وأن ما عليه أهل الحق مفترى لا يصدقون به

وكلٌّ يدّعي وصلا لليلى وليلى لا تقرُّ لهم بذا كا

﴿ الافتراء على المؤمنين ﴾

﴿ السابعة والخمسون ﴾ : رمى المؤمنين بطلب العلوّ في الارض قال تعالى في سورة يونس « قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لك بمؤمنين » هذا الكلام مسوق لبيان أن موسى عليه السلام ألقمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معالج لجوج . على أنه استئناف وقع جواباً عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قال موسى ، كأنه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام حين قال لهم ماقال ؟ فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة « أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض » أي الملك كما روى عن مجاهد وعن الزجاج أنه انما سمى الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا ؛ فكل من دعا الى الحق رماه من كان على المسلك الجاهلي أن قصده من الدعوة طلب الرياسة والجاه من غير

ان ينظروا الى ما دعا اليه وما قام عليه من البراهين

﴿ رمي المؤمنين بالفساد في الارض ﴾

﴿ الثامنة والخمسون ﴾ : رمى المؤمنين بالفساد في الارض. شاهد هذه المسألة آيات كثيرة ، حاصلها أن المخالفين لهم من المؤمنين مفسدون في الارض . انظر الى قولهم في أوائل سورة البقرة كيف ادعوا أنهم هم مصلحون . وقد ردّ الله عليهم بقوله « ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » وهكذا من هو على شاكلة أولئك من الذين استحلوا غيهم وتمكنت بدعهم من قلوبهم :

ومن يك ذا فم مرّ مريض يجدْ مراً به الماء الزلالا

نسأله تعالى ان يثبت قلوبنا على دينه القويم وأقدامنا على الصراط المستقيم

﴿ رمي المؤمنين بتبديل الدين ﴾

﴿ التاسعة والخمسون ﴾ : رمى المؤمنين بتبديل الدين . قال تعالى في سورة مؤمن « اني أخاف أن يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد » اعتقدوا ما هم عليه من الضلال هو الدين الحق ومن أراد تحويلهم عن اعتقادهم الكاسد وصرْفهم عما هم عليه

من الغي [فقد اراد] اخراجهم من الدين وافساداً في الأرض . وهكذا ديدن أعداء الحق في كل عصر » .

﴿ اتهام أهل الحق بالفساد في الارض ﴾

﴿ الستون ﴾ : كونهم اذا غلبوا بالحجة فزعوا الى السيف والشكوى الى الملوك و [دعوى] احتقار السلطان و [تحويل] الرعية عن دينه . قال تعالى في سورة الاعراف « أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض » فانظر الى شكوى آل فرعون وقومه اليه وتحريشهم إياه على مقاتلة موسى عليه السلام وتهييجه . وما ذكر في آخر الآية من احتقار ما كانوا عليه

﴿ تناقض مذهبهم لما تركوا الحق ﴾

﴿ الحادية والستون ﴾ : تناقض مذهبهم لما تركوا الحق قال تعالى في سورة قٓ « قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج » فقوله بل كذبوا بالحق الخ اضراب اتبع الاضراب الأول للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أقطع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في أمر مريج مضطرب وذلك بسبب نفيهم النبوة عن البشر

بالكلية تارة وزعمهم أن اللائق بها أهل الجاه والمال كما ينبيء عنهم قولهم «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» تارة أخرى ، وزعمهم أن النبوة سحر أول مرة وأنها كهانة أخرى حيث قالوا في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة ساحر ومرة كاهن ، أو هو اختلاف حالهم ما بين تعجب من البعث واستبعاد له وتكذيب وتردد فيه أو قولهم في القرآن هو شعر تارة وهو سحر أخرى وقال تعالى في سورة الذاريات «والسماء ذات الحُبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون» الحبك جمع حبيكة كطريقة أو حبال كمثال ومثل والمراد بها اما الطرق المحسوسة التي تسير فيها الكواكب أو المعقولة التي تدرك بالبصيرة وهي ما يدل على وحدة الصانع وقدرته وعلمه وحكمته اذا تاملها الناظر وقوله «انكم لفي قول مختلف» أي متخالف متناقض في أمر الله عز وجل حيث تقولون انه جل شأنه خلق السموات والأرض وتقولون بصحة عبادة الاصنام معه سبحانه وفي أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فتقولون تارة انه مجنون وأخرى انه ساحر ولا يكون الساحر إلا عاقلا وفي أمر الحشر فتقولون تارة لا حشر ولا حياة بعد الموت أصلا وتزعمون أخرى أن أصنامكم شفعاؤكم عند الله تعالى يوم

القيامة الى غير ذلك من الأقوال المتخالفة فيما كلفوا بالايمان به وقوله « يؤفك عنه » من افك أي يصرف عن الايمان بما كلفوا الايمان به « قتل الخراصون » أي الكذابون من أصحاب القول المختلف « الذين هم في غمرة ساهون » الغمرة الجهل العظيم يغمرهم ويشملهم شمول الماء الغامر لما فيه والسهو الغفلة وقال تعالى في أواخر سورة الانعام « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » هذه الآية استئناف لبيان أحوال أهل الكتابين اثر بيان حال المشركين بناء على ماروى عن ابن عباس وقتادة أن الآية نزلت في اليهود والنصارى أي بددوا دينهم وبعَّضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم « وكانوا شيعاً » أي فرقاً تشيع كل فرقة اماما وتتبعه أي تقويه وتظهر أمره . أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة ، و افترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة » واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية ان واختلفت أسباب

دخولهم. « لست منهم في شيء » أي من السؤال عنهم والبحث عن تفرقهم أو من عقابهم أو أنت بريء منهم. « انما أمرهم الى الله» تعليل للنفي المذكور أي هو يتولى وحده أمرهم أولاهم وأخراهم ويدبره حسبما تقتضيه الحكمة. ومن الناس من قال المفرقون أهل البدع من هذي الأمة. فقد أخرج الحكيم الترمذي وابن جرير والطبراني وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله سبحانه « ان الذين فرقوا » الخ هم أهل البدع والاهواء من هذه الامة فيكون الكلام حينئذ استئنافاً لبيان حال المبتدعين اثر بيان حال المشركين، اشارة الى أنهم ليسوا منهم ببعيد

والمقصود أن أهل الجاهلية سواء كانوا أميين أو كتابيين قد فرقوا دينهم وتغايروا في الاعتقاد فكان عباد الاصنام كل قوم لهم صنم يدينون له ولهم شرائع مختلفة في عبادتها. ومنهم من كان يعبد كوكبا ومنهم من كان يعبد الشمس ومنهم ومنهم. وكذلك الكتابيون على ما بينا. فالافتراق ناشيء عن الجهل وإلا فالشريعة الحقة في كل زمان لا تعدد فيها ولا اختلاف، ولذلك ترى القرآن يوحد الحق ويعدد الباطل قال تعالى « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » فانظر كيف أفرد النور الذي

هو الحق وجمع الظلمات التي هي الباطل والزيغ ، فتفرقة الآراء والاختلاف في الاعتقاد من خصال الجاهلية وما كان عليه أهل الباطل ، والاتفاق على العقيدة الحقة هو من دأب أتباع الرسل والمتمسكين بما شرعه الله تعالى

﴿ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم ﴾

﴿ الثانية والستون ﴾ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم كما قال تعالى في سورة البقرة « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين » أي نستمر على الايمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل لتقرير حكمها . ومرادهم بضمير المتكلم إما أنبياء بني إسرائيل وهو الظاهر ، وفيه ايماء الى أن عدم ايمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله على من ليس منهم ، وإما أنفسهم ومعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الأحكام ، وذموا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ، ودسائس اليهود مشهورة وتمام الكلام في التفسير

﴿ الزيادة في العبادة ﴾

﴿ الثالثة والستون ﴾ : الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم عاشوراء

﴿ النقص من العبادة ﴾

﴿ الرابعة والستون ﴾ : النقص منها ، كتركهم الوقوف . قال تعالى « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » أي من عرفة لا من مزدلفة والخطاب عام والمقصود ابطال ما كان عليه الحمس من الوقوف بجمع فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله سبحانه « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » ومعناها : ثم أفيضوا أيها الحجاج من مكان أفاض جنس الناس منه قديماً وحديثاً وهو عرفة لا من مزدلفة

﴿تعبدهم بترك الطيبات من الرزق﴾

﴿ الخامسة والستون ﴾ : تعبدهم بترك أكل الطيبات من الرزق وترك زينة الله التي أخرج لعباده . قال تعالى في سورة الاعراف « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين . قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » . وسبب النزول على ما روي عن ابن عباس انه كان أناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعلق على سفلها سيوراً مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر من الذباب وهي تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله   وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله تعالى هذه الآية « يا بني آدم » الخ وكلوا واشربوا مما طاب لكم ، قال الكلبي كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتاً ولا يأكلون دسماً في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك ، فأنزل الله تعالى الآية ومنه يظهر وجه ذكر الاكل والشرب هنا ولا تسرفوا

بتحريم الحلال كما هو المناسب بسبب النزول أو بالتعدي الى الحرام « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » من الثياب وكل ما يتجمل به « والطيبات من الرزق » أى من المستلذات وقيل المحللات من المآكل والمشارب كلحم الشاة وشحمها ولبنها « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » أي هى لهم بالاصالة لمزيد كرامتهم على الله تعالى والكفرة ان شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم

﴿ تعبدهم بالمكاء والتصدية ﴾

﴿ السادسة والستون ﴾ تعبدهم بالمكاء والتصدية . قال تعالى في سورة الانفال « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » تفسير هذه الآية « وما كان صلاتهم عند البيت » أي المسجد الحرام الذي صدوا المسلمين عنه والتعبير عنه بالبيت للاختصار مع الاشارة الى أنه بيت الله تعالى فينبغي أن يعظم بالعبادة وهم لم يفعلوا الا مكاء أي صفيراً وتصدية أي تصفيقاً وهو ضرب اليد باليد بحيث يسمع له صوت . والمراد بالصلاة اما الدعاء أو افعال أخر كانوا يفعلونها ويسمونها صلاة

وحمل المكاء والتصدية عليها بتأويل ذلك بأنها لا فائدة فيها ولا معنى لها كصفير الطيور وتصفيق اللعب . وقد يقال المراد أنهم وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة التي تليق ان تقع عند البيت . يروى أنهم كانوا اذا أراد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يصلي يخلطون عليه بالصفير والتصفيق . ويروى أنهم يصلون أيضاً ويروى أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون . وباقي الآية معلوم . والمقصود أن مثل هذه الافعال لا تكون عبادة بل من شعائر الجاهلية . فما يفعله اليوم بعض جهلة المسلمين في المساجد من المكاء والتصدية يزعمون أنهم يذكرون الله فهو من قبيل فعل الجاهلية . وما أحسن ما يقول القائل فيهم :

أقال الله صفقْ لي وغنِّ ... وقل كفراً وسمِّ الكفر ذكرا

وقد جعل الشارع صوت الملاهي صوت الشيطان ، قال تعالى « واستفزز من استطعت منهم بصوتك ، واجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركهم في الأموال والأولاد ، وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا »

﴿ النفاق فى العقيدة ﴾

﴿ السابعة والستون ﴾ : دعواهم الايمان عند المؤمنين ، فاذا خرجوا خرجوا بالكفر الذي دخلوا به

﴿ دعاؤهم الى الضلال بغير علم ﴾

﴿ الثامنة والستون ﴾ :دعاؤهم الناس الى الضلال بغير علم

﴿ دعاؤهم الى الكفر مع العلم ﴾

﴿ التاسعة والستون ﴾ دعاؤهم الناس الى الكفر مع العلم

﴿ المكر الكبار ﴾

﴿ السبعون ﴾ المكر الكبّار . كفعل قوم نوح قال تعالى في سورة نوح عليه السلام « ومكروا مكراً كبّارا وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرن وُدّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً » ومعنى الكبّار الكبير والمكر الكبّار احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه واغرائهم وتحريضهم على أذية نوح عليه السلام . وهكذا فعل أخلاف هؤلاء من مردة الدين واتباع

الهوى وعبدة الدنيا يفعلون مع دعاة الحق كما فعل قوم نوح عليه السلام معه قد تشابهت قلوبهم . نسأله تعالى أن يعيذ رجال الحق من كيد مثل هؤلاء الفجرة ويصونهم من مكرهم

وقد جربتهم فرأيت منهم　　خبائث بالمهيمن نستجير

﴿ حالة علمائهم ﴾

﴿ الحادية والسبعون ﴾ أنهم اما عالم فاجر واما عابد جاهل قال تعالى « أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون . واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون . ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وانهم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » فذكر في الآية ان فريقاً من أسلاف اليهود وهم الأحبار كانوا يسمعون التوراة ويؤولونها تأويلا فاسداً حسب أغراضهم بل كانوا يحرفونها بتبديل كلام من تلقائهم كما فعلوا ذلك في نعته صلى الله تعالى عليه وسلم

فانه روي أنه من صفاته فيها أنه أبيض ربعة فغيروه بأسمر طويل وغيروا آية الرجم بالتسخيم وتسويد الوجه كما في البخاري . ومنهم فريق أميون لا يعلمون الكتاب الا بالدعاوي الكاذبة والمراد بهم جهلة مقلدة لا ادراك لهم . وتمام الكلام في هذا المقام يطلب من التفسير والمقصود أن تحريف الكلم واتباع الهوى والقول على الله من غير علم من خصال الجاهلية وانت تعلم حال أحبار السوء اليوم والرهبان الذين يقولون على الله مالا يعلم قد تجاوزوا الحد في اتباع الهوى وتأويل النصوص وما اشبه ذلك مما يستحي منه الاسلام والامر لله

﴿ زعمهم أنهم هم أولياء الله ﴾

﴿ الثانية والسبعون ﴾ : زعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس دليل هذه المسئلة قوله تعالى في سورة الجمعة « قل يا أيها الذين هادوا » أي تهودوا أي صاروا يهوداً « ان زعمتم أنكم أولياء الله » أي أحباء له سبحانه ، ولم يضف أولياء اليه تعالى كما في قوله سبحانه « الا أن ولياء الله » ليؤذن بالفرق بين مدعى الولاية ومن يخصه بها « من دون الناس » أي متجاوزين عن الناس « فتمنوا الموت » أي فتمنوا من الله تعالى ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة

« ان كنتم صادقين » في زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فان من أيقن انه من أهل الجنة أحب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الانكار والا كدار . وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقول لهم ذلك اظهاراً لكذبهم فانهم كانوا يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ويدعون ان الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، كما أخبر تعالى عن الكتابيين في كتابه فقال جل شأنه « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » وروى انه لما ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتبت يهود المدينة ليهود خيبر : ان اتبعتم محمداً أطعناه وان خالفتموه خالفناه . فقالوا نحن أبناء خليل الرحمن ومنا عزير ابن الله والأنبياء ومتى كانت النبوة في العرب نحن أحق بها من محمد ولا سبيل الى اتباعه . فنزلت « قل يأيها الذين هادوا » الآية « ولا يتمنوه أبدا » اخبار بحالهم المستقبل وهو عدم تمنيهم الموت وذلك خاص بأولئك المخاطبين وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه فلم يتمنه أحد منهم وما ذلك إلا لانهم كانوا موقنين

بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فعلموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد. وهذه احدى المعجزات «بما قدمت أيديهم» أي بسببه كأنه قيل انتفى تمنيهم بسبب ما قدمت والمراد بما قدمته أيديهم الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة أفعاله عبّر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة «والله عليم بالظالمين» أي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون ويذرون من الأمور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل أي والله عليم بما صدر منهم من فنون الظلم والمعاصي وبما سيكون منهم فيجازيهم على ذلك «قل ان الموت الذي تفرون منه» ولا تجسرون على ان تمنوْه مخافة ان تؤخذوا بوبال أفعالكم «فانه ملاقيكم» البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه «ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة» الذي لا تخفى عليه خافية «فينبئكم بما كنتم تعملون» من الكفر والمعاصي بأن يجازيكم بها وهذا ديدن الزائغين وشأن الملحدين كما قال تعالى عن اليهود «نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق». وقد ورث هذه الخصلة كثير ممن ينتمي الى الملة الاسلامية بل كل من الفرق مَن يقول نحن أولياء الله مع أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

قال في حديث الفرق في بيان الفرقة الناجية : وهم ما أنا عليه وأصحابي

﴿ دعوى محبة الله مع ترك شرعه ﴾

﴿ الثالثة والسبعون ﴾ : دعواهم محبة الله مع ترك شرعه فطالبهم سبحانه بقوله في سورة آل عمران « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » . قال الحسن وابن جريج : زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم يحبون الله فقالوا يا محمد إنا نحب ربنا فأنزل الله تعالى هذه الآية . وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف [1] وهم يسجدون لها فقال : يامعشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسماعيل ولقد كانا على الاسلام. فقالت قريش يا محمد انما نعبد هذه حباً لله لتقربنا الى الله زلفى فأنزل الله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله الخ » . وفي رواية أبي صالح أن اليهود

---

(١) الشنف القرط الاعلى أو معلاق فى قوف الاذن او ما علق فى اعلاها واما ما علق فى اسفلها فقرط . جمعه شنوف

لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أنزل الله هذه الآية فلما نزلت عرَضها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اليهود فأبوا ان يقبلوها . وروى محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال : نزلت في نصارى نجران وذلك أنهم قالوا انما نعظم المسيح نعبده حباً لله وتعظيما له فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليهم . وبالجملة ان من تلبَّس بالمعاصي لا ينبغي له ان يدعى محبة الله وما أحسن قول القائل :

تعصى الإلٰه وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

﴿ تمنيهم على الله الاماني الكاذبة ﴾

﴿ الرابعة والسبعون ﴾ : تمنيهم على الله تعالى الأماني الكاذبة قال تعالى في سورة آل عمران « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون » . أخرج ابن اسحاق وجماعة عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله تعالى فقال النعمان بن

عمرو والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قال على ملة
ابراهيم ودينه قالا فان ابراهيم كان يهودياً فقال لهما رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فهلما الى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبينا
عليه فأنزل الله تعالى الآية . وفي البحر : زنى رجل من اليهود
بامرأة ولم يكن بعد في ديننا الرجم فتحاكموا الى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم تخفيفاً على الزانيين لشرفهما فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم : انما أحكم بكتابكم ، فأنكروا الرجم
فجيء بالتوراة فوضع جرهم بن صوريا يده على آية الرجم فقال
عبد الله بن سلام جاوزَها يارسول الله فاظهرها فرجما فغضبت
اليهود فنزلت . ومعنى قوله « ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما
معدودات » أي المذكور من التولي والاعراض حاصل لهم بسبب
هذا القول الذي رسخ اعتقادهم له وهونوا به الخطوب ولم يبالوا
معه بارتكاب المعاصي والذنوب . والمراد بالايام المعدودات أيام
عبادتهم العجل « وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون » أي غرّهم
افتراؤهم وكذبهم أو الذي كانوا يفترونه من قولهم: لن تمسنا النار
أو من قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه ، أو مما يشمل ذلك ونحوه
من قولهم :ان آباءنا الأنبياء يشفعون لنا وأن الله تعالى وعد يعقوب
ان لا يعذب أبناءه الا تحلة القسم فردّ عليهم بقوله سبحانه « فكيف

اذا جمعناهم الخ . روى أنه أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار . وهكذا رأينا كثيراً من أهل زماننا يفعلون ما يفعلون من المنكرات اعتماداً على الشفاعة أو على علوّ الحسب وشرف النسب والله المستعان . وفي سورة البقرة « وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »

﴿ اتخاذ قبور الصالحين مساجد ﴾

﴿ الخامسة والسبعون ﴾ : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد . هذه المسئلة من خصال الكتابيين أيام جاهليتهم وفي ذلك ورد الحديث الصحيح « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ثم قال « فلا تتخذوها مساجد » وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي لفظ لمسلم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس قال : لما نزل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طفق يطرح خميصة له

على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال : وهو كذلك لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ماصنعوا وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة : أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » وعن ابن عباس قال « لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أهل السنن الاربعة فهذا التحذير منه واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل الصالح صريح في النهي عن المشابهة وفي هذا دليل على الحذر عن جنس أعمالهم حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم ان يكون من هذا الجنس . ثم من المعلوم ماقد ابتلي به كثير من هذه الامة من بناء القبور مساجد واتخاذ القبور مساجد بلا بناء وكلا الامرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة وليس هذا موضع استقصاء ما في ذلك من سائر الاحاديث والآثار ولهذا كان السلف يبالغون في المنع

﴿ اتخاذ آثار الأنبياء مساجد ﴾

﴿ السادسة والسبعون ﴾ : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ورد عن عمر رضي الله عنه فان هذه المسئلة أيضاً من بدع جاهلية الكتابيين كانوا يتخذون آثار أنبيائهم مساجد فورثهم الجاهلون من هذه الامة فتراهم يبنون على موضع اختفى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو وصل قدمه المبارك اليه أو تعبد فيه ، وهذا ليس مما يحمد في الشريعة لجره الى الغلو . وفي العراق مواضع كثيرة بنوا عليها مباني كالمقام الذي زعموا ان الشيخ الكيلاني تعبد فيه وكأثر الكف الذي زعم الشيعة انه أثر كف الامام علي لما وضعه على الصخرة فأثر فيها فبنوا عليها مسجداً وكعدة أماكن زعموا ان الخضر رؤي فيها ولا أصل له ، الى غير ذلك مما لا يستوعبه المقام فينبغي لمن يدعى الاسلام ان يتجنبها وينهى عن حضورها وان رمى بالانكار وعداوة الاشرار وكيد المارقين الفجار . وفي المسئلة تفصيل لا بأس بذكره قال شيخ الاسلام : اما مقامات الانبياء والصالحين وهي الامكنة التي قاموا فيها أو أقاموا أو عبدوا الله سبحانه لكنهم لم يتخذوها مساجد فالذي بلغني في ذلك قولان عن العلماء المشهورين : أحدهما النهي عن ذلك وكراهته

وانه لا يستحب قصد بقعة للعبادة إلا ان يكون قصدها للعبادة مما جاء به الشرع مثل ان يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قصدها للعبادة كما قصد الصلاة في مقام ابراهيم وكما كان يتحرى الصلاة عند الاسطوانة وكما تقصد المساجد للصلاة ويقصد الصف الاول ونحو ذلك . والقول الثاني أنه لا بأس باليسير من ذلك كما نقل عن ابن عمر أنه كان يتحرى قصد المواضع التى سلكها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سلكها اتفاقاً لا قصداً . وسئل الامام احمد عن الرجل يأتي هذه المشاهد و يذهب اليها ترى ذلك ؟ قال أما على حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلي في بيته حتى يتخذ ذلك مصلى وعلى ما كان يفعله ابن عمر يتبع مواضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأثره فليس بذلك بأس ان يأتي الرجل المشاهد إلا أن الناس قد أفرطوا في هذا جداً وأكثروا فيه . وكذلك نقل عنه احمد بن القاسم أنه سئل عن الرجل يأتي هذه المشاهد التى بالمدينة وغيرها يذهب اليها فقال أما على حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فيصلي في بيته حتى يتخذه مسجداً وعلى ما كان يفعل ابن عمر كان يتبع مواضع سير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أنه رؤي يصب في موضع

ماء فسئل عن ذلك فقال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصب هنا ماء قال أما على هـذا فلا بأس قال ورخص فيه ، ثم قال ولـكن قد أفرط الناس جداً وأكثروا في هذا المعنى فذكر قبر الحسين وما يفعل الناس عنده رواهما الخلال في كتاب الادب فقد فصل أبو عبد الله في المشاهد وهي الامكنة التي فيها آثار الانبياء والصالحين من غير ان تكون مساجد لهم كمواضع بالمدينة بين القليل الذي لا يتخذونه عيداً أو الكثير الذي يتخذونه عيداً كما تقدم وهذا التفصيل جمع فيه بين الآثار وأقوال الصحابة. فانه قد روى البخاري في صحيحه عن موسى بن عقبة قال رأيت سالما بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق ويصلي فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها وأنه رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي في تلك الامكنة فهذا كما رخص الامام احمد . وأما كراهته فروى سعيد بن منصور في سننه قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الاعمش عن المعرور بن سويد عن عمر قال خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر بألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولايلاف قريش في الثانية فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد فقال ما هـذا فقالوا مسجد صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فقال هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعا من

عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ومن لم تعرض له الصلاة فليمض فقد كره عمر اتخاذ مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عيداً وبيّن ان أهل الكتاب انما هلكوا بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا . وروى محمد بن وضاح وغيره أن عمر ابن الخطاب أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لان الناس كانوا يذهبون تحتها فخاف عمر الفتنة عليهم

وما ذكره عمر هو الحرى بالقبول وهو مذهب جمهور الصحابة غير ابنه وهو الذي يجب العمل به ويعول عليه

﴿ اتخاذ السرج على القبور ﴾

﴿ السابعة والسبعون ﴾ : اتخاذ السرج على القبور . دليل حرمة ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديث الذي سبق ذكره من لعن من يفعل ذلك وليتك رأيت ما يوقد في ترب أئمة أهل البيت ونحوها من الشموع ولاسيما في ليالي رمضان والليالي المباركة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿ اتخاذ القبور أعياداً ﴾

﴿ الثامنة والسبعون ﴾ : اتخاذها أعياداً اعلم ان العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً ما تعود السنة أو يعود الاسبوع أو الشهر أو نحو ذلك فالعيد يجمع أموراً منها يوم عائد

كيوم الفطر ويوم الجمعة . ومنها اجتماع فيه . ومنها أعمال تجمع ذلك من العبادات أو العادات . وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً . هؤلاء مسلمو أهل العراق لكل تربة وولي يوم مخصوص يجتمعون فيه للزيارة كزيارة الغدير ومرد الرأس . ومنهم من خص له يوم من أيام الاسبوع فالجمعة لفلان والثلاثاء لفلان وهكذا ومن ذلك بعض الايام والليالي المباركة كليلة القدر وأيام الاعياد وليلة النصف من شعبان وغير ذلك مما لم ينزل الله به من سلطان

﴿ الذبح عند القبور ﴾

﴿ التاسعة والسبعون ﴾ : الذبح عند القبور قال الله تعالى « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » أمره الله ان يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له أي أنه أخلص لله صلاته وذبيحته لان المشركين يعبدون الاصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والانقياد بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى فمن تقرب لغير الله ليدفع عنه ضيراً أو يجلب له خيراً تعظيما له من الكفر الاعتقادي والشرك الذي كان عليه الاولون وسبب مشروعية التسمية تخصيص مثل

هذه الامور العظام بالإله الحق المعبود العلام فاذا قصد بالذبح غيره كان أولى بالمنع . وصح نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عمن استأذنه بالذبح ببوانة وانه قد نذر ذلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أكان فيها صنم ؟ قال : لا . قال : فهل كان فيها عيد من أعياد المشركين ؟ قال لا . قال له « فأوف بنذرك » أخرج ذلك أبو داود في سننه . وهذا السائل موحد مقرب لله سبحانه وتعالى وحده لكن المكان الذي فيه معبود غير الله وقد عدم أو محل لاجتماعهم يصلح مانعاً فلما علم صلى الله تعالى عليه وسلم ان ليس هناك شيء من ذلك أجازه . ولو علم شيئاً مما سئل عنه لمنعه صيانة لحمى التوحيد وقطعاً لذريعة الشرك . وصح أيضاً عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا : كيف ذلك يارسول الله ؟ قال : مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً . قالوا له : قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للآخر قرب قال : ما كنت أقرب شيئاً لاحد دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة » ففي هذا الحديث من الفوائد كون المقرب دخل النار بالسبب الذي لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم وان كان مسلماً وإلا لم يقل دخل النار . وفيه ما ينبغي الاهتمام به من أعمال القلوب التي هي المقصود الأعظم والركن الاكبر فتأمل في ذلك وانظر

الى فؤادك في جميع ما قالوه وألق سمعك لما ذكروه وانظر الحق فان الحق أبلج والباطل لجلج . فبالنظر التام الى ما كان عليه المشركون من تقربهم لأوثانهم لتقربهم الى الله لكونهم شفعاء لهم عند الله وشفاعتهم بسبب أنهم رسل الله أو ملائكة الله وأولياء الله يتبين لك ما عليه الناس الآن . والله المستعان

﴿التبرك بآثار المعظمين﴾

﴿ الثمانون ﴾ : التبرك بآثار المعظمين كدار الندوة وافتخار من كان تحت يده بذلك كما قيل لحكيم بن حزام بعت مكرمة قريش فقال ذهبت المكارم إلا التقوى هذه الخصلة قد امتدت عروق ضلالها في أودية قلوب جهلة المسلمين وزادوا في الغلوّ بها على ما كان عليه جاهلية العرب والكتابيين ولا بدع من حكيم ابن حزام القريشي الأسدي اذا ما رد على من قال له : بعت مكرمة قريش وقد باعها من معاوية بمائة ألف درهم: ذهبت المكارم إلا التقوى كيف لا وقد كان عاقلا سريا فاضلا تقيا سيداً بماله غنياً أعتق في الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير وحج في الاسلام ومعه مائة بدنة قد جللها بالحبرة وكفها عن اعجازها وأهداها ووقف بمائة وصيف بعرفة في أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها عتقاء الله عن حكيم بن حزام وأهدى ألف شاة وهو الذي عاش في

الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة وولد في الكعبة

﴿ الحادية والثمانون ﴾ : الفخر بالاحساب

﴿ الثانية والثمانون ﴾ : الاستقساء بالانواء

﴿ الثالثة والثمانون ﴾ : الطعن في الانساب

﴿ الرابعة والثمانون ﴾ : النياحة . أقول : هذه المسائل الاربع دليل بطلانها حديث واحد وهو ما رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم بسنده الى أبي مالك الاشعري أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حدثه قال : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والناحية أوقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » الفخر في الاحساب افتخارهم بمفاخر الآباء . والطعن في الانساب ادخالهم العيب في أنساب الناس تحقيراً لآبائهم وتفضيلا لآباء أنفسهم على آباء غيرهم . والاستسقاء بالنجوم اعتقادهم نزول المطر بسقوط نجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من المشرق فقد كانوا يقولون مطرنا بنوء كذا وقال تعالى « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » وهذا مفصل في كتب الانواء بما لا مزيد عليه . ومعنى قوله فى النائحة : وعليها سربال من قطران ان الله تعالى يجازيها بلباس من قطران لانها كانت تلبس الثياب السود . وقوله درع من جرب يعني

يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع وهو القميص لانها كانت تجرح بكلماتها المحرقة قلوب ذوي المصيبات . فهذا الحديث دل على بطلان ما كان عليه أهل الجاهلية من هذه الخصال الرديئة، وورثتهم اليوم من هذه الامة تجاوزوا فيها أسلافهم وزادوا في الطنبور نغمات فتراهم يفتخرون بمزايا آبائهم وهم بمراحل عنهم ، فهذا يقول كان جدي الشيخ الفلاني وهـذا يقول جدي العالم الرباني الى غير ذلك . وكذلك الطعن في الانساب، فهذا يقول إن آباء فلان لم يكونوا من العترة الطاهرة وذاك يقول ان آباء فلان لم يكونوا من ذوي الاحساب الباهرة . وكذلك الاستسقاء بالأنواء ولم يعتقد كثير من الناس أن ما كان من فعـل رب الأرض والسماء . وهكذا النوح على الأموات فقد اتخذه كثير من الناس من أفضل الأعمال وسبب الوصول الى مرضاة ذي الجلال لا سيما من اتخذ المآتم الحسينية في كل عام فهناك من البدع ما تكل عن نقله ألسنة الأقلام والويل كل الويل لمن أنكر شيئاً من ذلك فانهم يوردونه موارد العطب والمهالك . والأمر لله ولا حول ولا قوة الا بالله

﴿ تعيير الرجل بفعل أمه وأبيه ﴾

﴿ الخامسة والثمانون ﴾ : تعيير الرجل بفعل غيره لا سيما

أبوه وأمه نخالفهم صلى الله تعالى عليه وسلم وقال « أعيرته بامه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية » والحديث في صحيح الامام البخاري في باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا بالشرك لقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : انك امرؤ فيك جاهلية وقول الله تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . وهـذا الباب في كتاب الايمان من صحيحه ثم قال حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن واصل عن المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال : اني سابيت رجلا فعيرته بامه فقال لي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « يا أبا ذر أعيرته بامه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية اخوانكم خولكم جعلهم الله تعالى تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم » وقد أطنب شراح الحديث في شرحه وليس هـذا موضع استقصائه . والمقصود منه أن تعيير الرجل بفعل غيره ليس من شأن كامل الايمان والمعرفة . فان أبا ذر رضي الله تعالى عنه قبل بلوغه المرتبة القصوى من المعرفة تسابَّ هو وبلال الحبشي المؤذن فقال له : يا ابن السوداء فلما شكا بلال الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له «شتمتَ بلالا وعيرته بسواد أمه؟ قال : نعم . قال حسبتُ أنه بقي

فيك شيء من كبر الجاهلية» فألقى أبو ذر خده على التراب ثم قال: لا أرفع خدي حتى يطأ بلال خدي بقدمه. والناس اليوم والأمر لله قد كثرت فيهم خصال الجاهلية فتراهم يعيرون أهل البلد كلهم بما صدر عن واحد منهم فأين من ذلك خصال الجاهلية

﴿ الافتخار بولاية البيت ﴾

﴿ السادسة والثمانون ﴾ : الافتخار بولاية البيت. فذمهم الله تعالى بقوله: « مستكبرين به سامراً تهجرون » وهذه الآية في سورة المؤمنين وهي بتمامها قوله تعالى « قد كانت آياتي تُتلَى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً تهجرون » ومعنى هذه الآية على ما في التفسير قد كانت آياتي تتلى عليكم تعليل لقوله قبل « لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون » أي دعوا الصراخ فانه لا يمنعكم منا ولا ينفعكم عندنا فقد ارتكبتم أمراً عظيما وإثماً كبيراً وهو التكذيب بالآيات فلا يدفعه الصراخ فكنتم عند تلاوتها على أعقابكم تنكصون أي تعرضون عن سماعها أشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها. والنكوص: الرجوع. والأعقاب: جمع عقب وهو مؤخر الرجل ورجوع الشخص على عقبه رجوعه في طريقه الأول كما يقال: رجع عوده على بدئه «مستكبرين به» أي بالبيت الحرام، والباء

للسببية وسوغ بهذا الاضمار مع أنه لم يجر ذكر اشتهار استكبارهم وافتخارهم بأنهم خدام البيت وقوامه « سامراً » أي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وذلك أنهم كانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً « وتهجرون » من الهجر بفتح فسكون بمعنى القطع والترك والجملة في موضع الحال أي تاركين الحق والقرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على تقدير عود ضمير به له وجاء الهجر بمعنى الهذيان وجوز أن يكون المعنى عليه أي تهذون في شأن القرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو أصحابه أو ما يعم جميع ذلك ويجوز أن يكون من الهُجْر بضم فسكون وهو الكلام القبيح فأنكر الله تعالى عليهم بقوله : « أفلم يدبّروا القول » ليعلموا بما فيه من وجوه الاعجاز انه الحق من ربهم فيؤمنوا به « أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » أي بل جاءهم الخ . والمقصود أن من خصال الجاهلية التكبر بسبب الرياسة على المواضع المقدّسة كما هو اليوم حال كثير ممن يدعى الشرف بسبب ذلك . فمنهم من ادّعى الشرف على المسلمين بسبب رياسته على مكة والمدينة ومنهم من ادعاه بسبب الرياسة في المشاهد أو مقامات الصالحين هؤلاء الذين يدعون انتسابهم الى عبد القادر الجيلي في بغداد يدعون الشرف بسبب رياستهم على قبر

عبد القادر واستيلائهم على النذور والصدقات والذبائح والقرابين الشركية التي يتعبدها جهلة المسلمين من الهنود والأكراد ونحوهم وهم أفسق خلق الله وأدناهم نفساً وأرذل خلق الله مسلكا فما يفيدهم ذلك عند الله شيئاً وما ينجيهم من مقت الله وعذابه وان ظن بهم العوام ما ظنوا فهم عند الله وعند عباده الصالحين أحقر من الذر وأبعدهم عن رحمته يوم القيامة

﴿ الافتخار بكونهم من ذرية الانبياء ﴾

﴿ السابعة والثمانون ﴾ : الافتخار بكونهم من ذرية الأنبياء عليهم السلام . فردّ الله عليهم بقوله « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » هذه الآية في آخر الجزء الأول من سورة البقرة وتفسيرها « تلك أمة قد خلت » الاشارة الى ابراهيم عليه السلام وأولاده في قوله « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين » الخ . والامة أتت لمعان والمراد بها هنا الجماعة من أمّ بمعنى قصد وسميت كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد ، أو زمان واحد ، أو مكان بذلك لأنهم يؤم بعضهم بعضاً ويقصده . والخلوّ : المضي ، وأصله الانفراد ، لها

ما كسبت ولكم ما كسبتم ، والمعنى أن انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « يامعشر قريش ان أولى الناس بالنبي المتقون ، فكونوا بسبيل من ذلك فانظروا أن لا يلقاني الناس يحملون الأعمال وتلقوني بالدنيا فأصد عنكم بوجهي » وهذا الحديث بمعنى قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ومعنى قوله « ولا تسئلون عما كانوا يعملون » لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم . وهذه الخصلة موجودة اليوم في كثير من المسلمين ورأس مالهم الافتخار بالآباء : فمنهم من يقول : أنا من ذرية عبد القادر الكيلاني ومنهم من يقول أنا من ذرية أحمد الرفاعي ، ومنهم من يقول أنا بكري ، ومنهم من يقول أنا عمري ، ومنهم من يقول أنا علوي أو حسني أو حسيني ولا فضيلة لهم ولا تقوى وكل ذلك لا ينفعهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، ورسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم يقول لفاطمة « يافاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئاً » وما قصد أولئك المفتخرين بآبائهم وهم عارون عن كل فضيلة الا أكل أموال الناس بالباطل . وفي المثل (كن عصامياً ولا تكن عظامياً)

ليس الفتى من يقول كان أبي ان الفتى من يقول ها أناذا

ولله درّ من قال يردّ على المفتخر بمثل ذلك :

أقول لمن غدا في كل يوم يباهينا بأسلاف عظام
أتقنع بالعظام وأنت تدري بأن الكلب يقنع بالعظام

وقال آخر :

وما الفخر بالعظم الرميم وانما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

﴿ الافتخار بالصنائع ﴾

﴿ الثامنة والثمانون ﴾ : الافتخار بالصنائع . كما افتخر أهل الرحلتين على أهل الحرث، يريد بالرحلتين رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام وهي عادة كانت لقريش كما ذكر ذلك في سورة الإيلاف . والمقصود أنه لا ينبغي للتاجر أن يفتخر بتجارته على أهل الحرث ولا أهل كل حرفة على المحترفين بحرفة أخرى فان كل ذلك من المكاسب الدنيوية التي يتوصل بها الى عبادة الله وطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ليتوصل بذلك الى النجاة الأبدية وهي مدار الفخر ، وأما ماسوى ذلك فكله ظل زائل ونعيم غير مقيم فلا ينبغي للعاقل أن يفخر بزخارف الدنيا الدنيئة ولا يعلم متى يفارقها . نسأله تعالى التوفيق والعمل الصالح الذي يرضيه

﴿عظمة الدنيا في قلوبهم﴾

(التاسعة والثمانون): عظمة الدنيا في قلوبهم كقولهم «لولا أنزل هـذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» أى من خصال الجاهلية مراعاة الدنيا وعظمتها في قلوبهم كما حكى الله عنهم ذلك بقوله «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون» وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون» هذه الآية في سورة الزخرف وموضع الاستشهاد فيها قوله «وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» المراد من القريتين مكة والطائف. قال ابن عباس الذي من مكة الوليد بن المغيرة المخزومي والذى من الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى وكل منهما كان عظيما ذا جاه ومال وكان الوليد بن المغيره يسمى ريحانة قريش وكان يقول لو كان مايقول محمد حقا لنزل عليّ أو على أبي مسعود يعني عروة بن مسعود وكان يكنى بذلك وهذا باب آخر من انكارهم للنبوة وذلك انهم أنكروا أولا أن يكون النبي بشراً ثم لما بكتوا بتكرير الحجج ولم يبق عندهم تصور رواج لذلك جاءوا بالانكار من وجه آخر فحكموا على

الله سبحانه أن يكون الرسول أحد هذين وقولهم «هذا القرآن» ذكر له على وجه الاستهانة لانهم لم يقولوا هذه المقالة تسليماً بل انكاراً كأنه قيل هذا الكذب الذي يدعيه لو كان حقا لكان الحقيق به رجل من القريتين عظيم وهذا منهم لجهلهم بأن رتبة الرسالة انما تستدعى عظيم النفس بالتخلى عن الرذائل الدنية والتحلى بالكمالات والفضائل القدسية دون التزخرف بالزخارف الدنيوية ، فأنكر سبحانه عليهم بقوله «أهم يقسمون رحمة ربك» وفيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم نزول القرآن العظيم على من أرادوا «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا» قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ، ولم نفوض أمرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية «ورفعنا بعضهم فوق بعض» في الرزق وسائر مبادىء المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وغنى وفقير وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم. «ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً» ليستعمل بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع عليه ولا لنقص في المقتر عليه ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية

وهو على طرف الثمام بهذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم في تدبير أنفسهم وفي تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط العيوق ، ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها وفي قوله تعالى «نحن قسمنا» الخ مايزيد في الانكباب على طلب الدنيا ويعين على التوكل على الله عز وجل والانقطاع اليه جلّ جلاله

فاعتبر نحن قسمنا بينهم تلقه حقا وبالحق نزل

«ورحمة ربك خير مما يجمعون» أي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعونه من حطام الدنيا الدنية فالعظيم من رزق تلك الرحمة دون ذلك الحطام الدنيء الفاني . وأنت تعلم ان كثيرا من الناس اليوم على ما كان عليه أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فتراهم لايعتبرون العلم اذا كان صاحبه فقير الحال وينظرون الى الغني ويعتبرون أقواله ، ولله درّ من قال [1] :

رُبَّ علم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم

﴿ ازدراء الفقراء ﴾

﴿ التسعون ﴾ : ازدراء الفقراء فانزل سبحانه قوله « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » . أقول

(١) هو حسان بن ثابت الانصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم . والمشهور (رب حلم)

هذه الآية في أوائل سورة الانعام وبيان معناها متعلق بما قبلها وهو قوله تعالى « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه وليّ ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » فلما أُمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار المذكورين لعلهم ينتظمون في سلك المتقين نهى عن كون ذلك بحيث يؤدى الى طردهم ويفهم من بعض الروايات ان الآيتين نزلتا معاً ولا يفهم ذلك من البعض الآخر فقد أخرج الامام احمد والطبراني وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : مرّ الملأ من قريش على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا : يامحمد رضيت هؤلاء من قومك أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعاً لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم أن نتبعك . فأنزل الله تعالى فيهم القرآن «وانذر به الذين» الى قولهسبحانه «فتكون من الظالمين».

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ والبيهقي في الدلائل وغيرهم عن خباب قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزارى فوجدا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في اناس ضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم

حوله حقروهم فأتوه فخلوا به فقالوا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا العرب به فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا قعوداً مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل بهذه الآية « ولا تطرد الذين الخ » ثم دعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله تعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم . وأخرج ابن المنذر وغيره عن عكرمة قال مشى عتبة وشيبة ابنا ربيعة وقرظة ابن عبد عمرو بن نوفل والحارث بن عامر بن نوفل ومطعم بن عدي في أشراف الكفار من عبد مناف الى أبي طالب فقالوا : لو ان ابن أخيك طرد عنا هؤلاء الاعبد والحلفاء كان أعظم له في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا اياه وتصديقه فذكر ذلك أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن الخطاب لو فعلت يا رسول الله حتى ننظر ما يريدون بقولهم وما يصيرون اليه من أمرهم فانزل

الله سبحانه « وأنذر به الذين يخافون » الى قوله سبحانه « أليس الله بأعلم بالشاكرين » وكانوا بلالاً وعمار بن ياسر وسالما مولى حذيفة وصبيحاً مولى أسيد والحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو وواقد بن عبد الله الحنظلي وعمرو بن عبد عمرو ومرثد بن أبي مرثد وأشباههم ونزل في أئمة الكفر من قريش والموالى والحلفاء « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » فلما نزلت أقبل عمر فاعتذر من مقالته فانزل الله تعالى « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا » وقوله « ماعليك من حسابهم من شيء » جملة معترضة بين النهي وجوابه تقريراً له ودفعاً لما عسى أن يتوهم كونه مسوّغا لطرد المتقين من أقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا « مانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى » والمعنى ماعليك شيء ما من حساب ايمانهم وأعمالهم الباطنة كما يقوله المشركون حتى تتصدى له وتبنى على ذلك ماتراه من الأحكام وانما وظيفتك حسبما هو شأن منصب الرسالة النظر الى ظواهر الامور واجراء لاحكام على موجبها ، وتفويض البواطن وحسابها الى اللطيف الخبير ، وظواهر هؤلاء دعاء ربهم بالغداة والعشى . وروى عن ابن زيد ان المعنى ماعليك شيء من حساب رزقهم أي من فقرهم والمراد لايضرك فقرهم شيئاً ليصح لك الاقدام على ما أراده المشركون منك فيهم وقوله « ومامن حسابك عليهم من شيء » عطف

على ماقبله وجيء به مع أن الجواب قد تم بذلك مبالغة في بيان كون انتفاء حسابهم عليه بنظمه في سلك مالا شبهة فيه أصلا وهو انتفاء كون حسابه صلى الله عليه وسلم عليهم فهو على طريقة قوله سبحانه « فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون » في رأى وقال الزمخشرى ان الجملتين في معنى جملة واحدة تؤدّي مؤدّى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » كأنه قيل لاتؤاخذ أنت ولاهم بحساب صاحبه وحينئذ لابد من الجملتين وتعقب بأنه غير حقيق بجلالة التنزيل وقوله « فتكون من الظالمين » جواب للنهى

﴿ انكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث ﴾

﴿ الحادية والتسعون ﴾ : عدم الايمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر والكلام على ذلك مفصل في التفسير وكتب الحديث والعقائد والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » ومن الشعر الجاهلى في انكار البعث والنشور :

وماذا بالقليب قليب بدر	من الشيزى تزين بالسنام
وماذا بالقليب قليب بدر	من القينات والشرب الكرام
تحيينا السلامة أم بكر	فهل لى بعد قومي من سلام
يحدثنا الرسول بأن سنحيا	وكيف حياة اصداء وهام

وقال آخر :

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى « وقالوا أاذا متنا وكنا ترابا وعظاماً أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون » وقد تكلمنا على معتقدات الجاهلية وأديانهم في غير هذا الموضع

﴿ ايمانهم بالجبت والطاغوت ﴾

﴿ الثانية والتسعون ﴾ : الايمان بالجبت والطاغوت وتفضيل دين المشركين على دين المسلمين قال تعالى « ألم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » وقد تقدم الكلام على ذلك مفصلا . والمقصود هنا أن جهلة الكتابيين كانوا يقولون للمشركين أنتم أهدى من المسلمين وما عندكم خير مما عليه محمد وأصحابه . وترى المتصوفة والغلاة اليوم على هذا المنهج يقولون ان دعاة أهل القبور والغلاة خير ممن يمنع عن ذلك من أهل التوحيد وحفاظ السنة

﴿ كتمان الحق مع العلم به ﴾

﴿ الثالثة والتسعون ﴾ : كتمان الحق مع العلم به . كما حكى الله

ذلك عن أحبار بني اسرائيل من اليهود والنصارى فقد كتموا ما ورد في كتبهم من البشائر المحمدية وهم يعلمون بورودها وذكرها في كتبهم والكلام في هذا الباب مفصل في الجواب الصحيح لشيخ الاسلام فعليك به فانه كتاب لم يؤلف مثله

﴿القول على الله بلا علم﴾

﴿ الرابعة والتسعون ﴾ : القول على الله بلا علم وهو أساس كل فساد وأصل الضلال وأكثر الناس حظاً من هذه الخصلة الجاهلية مبتدعة المتكلمين فقد تكلموا في الصفات الالهية بما لم ينزل الله بها من سلطان وأولوا نصوص الشريعة بما تهواه أنفسهم كما فعله الرازي في كتابه أساس التقديس وجزى الله شيخ الاسلام خيراً فقد ردّ عليه ونقض أساسه وسجل ضلاله وجهله وضيق أنفاسه «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض»

﴿التناقض﴾

﴿ الخامسة والتسعون ﴾ : التناقض الواضح قال تعالى « بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج» وهكذا أهل البدع من الغلاة وغيرهم يدعون الاسلام ويعملون أعمالا تناقض ماهم عليه من الدين

﴿الكهانة وما في حكمها﴾

﴿ السادسة والتسعون – والسابعة والتسعون – والثامنة والتسعون – والتاسعة والتسعون – والمائة ﴾ : العيافة ، والطرق والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم الى الطاغوت ونحو ذلك . وقد تكلمنا على هذه الامور في كتابنا (بلوغ الأرب في أحوال العرب) بما لا مزيد عليه وذكرنا هناك أوابدهم وخرافاتهم وسائر ضلالاتهم . وكل ذلك من أعمال جهلة المسلمين اليوم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

***

وغالب مسائل الاصل رؤوس مسائل في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، ومن أراد التفصيل فليرجع اليه

وهذا آخر ما أردنا شرحه من المسائل التى أبطلها الاسلام . والحمد لله ولى الانعام . والصلاة والسلام على خير الانام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان

في ٥ذي الحجة وهو يوم الخميس بعد الظهر من سنة ١٣٢٥ ه

فهرس

«مسائل الجاهلية»

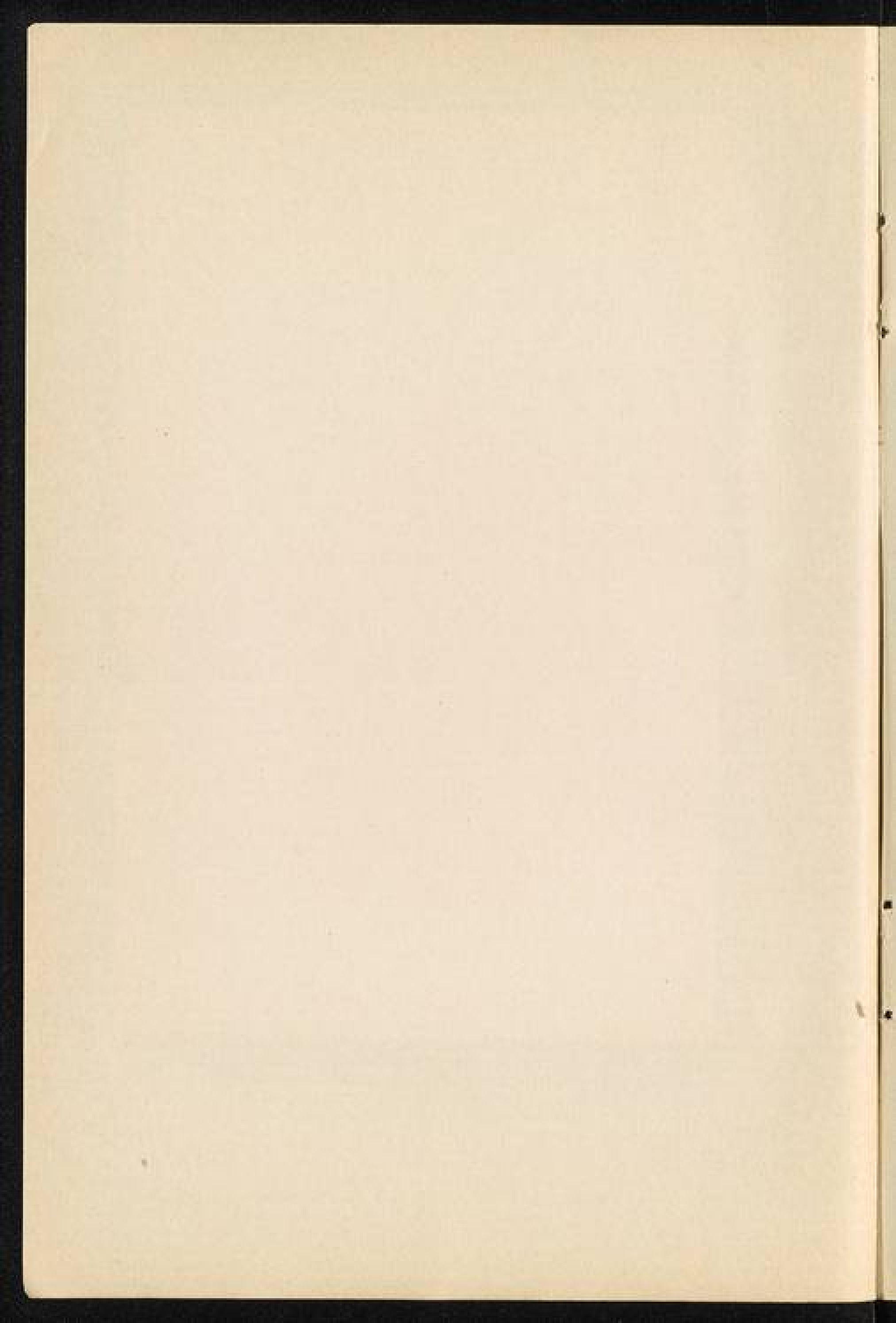


أتمت المطبعة السلفية طبع الجزء الاول من هذا الكتاب العظيم، فجاء في ٤٣٥ صفحة كبيرة مطبوعاً على ورق فاخر جداً بحروف جميلة. واعتمدنا في تصحيحه على نسخة العلامة الشنقيطي الكبير المنقولة من خط المؤلف، وحليناه بتصحيحات العلامة الجليل صاحب السعادة الاستاذ أحمد تيمور باشا، وبتصحيحات وتعليقات المحقق الكبير الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي استاذ آداب اللغة العربية في جامعة عليكره الاسلامية في الهند

فجاء من مفاخر ما قامت به الطباعة المصرية في هذه الايام

قيمة الاشتراك في كل جزء عشرة قروش مقدماً

وعند تسلم كل جزء تدفع قيمة الاشتراك بالجزء الذي يليه



coth



لسان العرب

أعظم معجم جمع شتات اللغة العربية بشواهدها

شرعنا في طبعه بحروف جميلة وعلى ورق صقيل

وبعناية لم يسبق لها نظير

مشفوعاً بتصحيحات وملاحظات واستدراكات كبار رجال اللغة والأدب

في الشرق والغرب

ومنهم صاحب السعادة العلامة الكبير أحمد تيمور باشا

والاستاذ العلامة المحقق عبد العزيز الميمني الراجكوتي

والمستشرق الشهير مستر كرنكو، وعلامة الجزائر السيد محمد أبو شنب

وقيمة الاشتراك في كل جزء ٤٠٠ صفحة : عشرة قروش